وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ

بسم الله الرحمن الرحيم

وبشر الصابرين

تأليف

نذير محمد مكتبي

دار المكتبي

الطبعة الأولى
1423هـ - 2002 م

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أوالنسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص. ب. ٣١٤٢٦ هاتف ٢٢٤٨٤٣٣ فاكس ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

المقدِّمة

بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله ربِّ العالمين ، وأفضل الصلاة وأتمُّ التسليم على خاتم الأنبياء والمرسلين سيِّدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين .

أمّا بعد :

فهذه رسالة مقتضبة في الصَّبْر أحببتُ أَنْ أُقدِّمها لعباد الله المؤمنين الذين ابتُلُوا بالمصائب ، وألمَّت بهم الشدائدُ ، واحتوشتهم الأحزانُ ، ونزلت في ساحة حياتهم المأساةُ ، وألمَّت بهم الملمّاتُ ، وأصابتهم الكروبُ ، لتكون لهم تذكرةً في الصبر على البلاء وتسليةً لقلوبهم في تحمُّل المصائب ، ليخرجوا من ظُلمة اليَأْس إلىٰ نور الأمل ، ومن ضغط المحنة إلى فُسْحَة الفرج ، ومن كآبة الحُزْن إلى دوحة السُّرور ، ولتُنير أمام قلوبهم سبيل الرِّضا عن الله والتسليم لأمره ، ليظفروا بالطمأنينة في الدنيا وبالفلاح في الآخرة .

ولا شيء كالصَّبْر يُعين الإنسان علىٰ تخطِّي المحنة مهما بلغت شدَّتُها ، ويمكِّنه من اقتحام الصِّعاب مهما كانت قسوتها ، ويساعده على تحمُّل صروف الزمان وأهواله .

فالصبر هو السفينة القويَّة الكريمة التي يركب فيها الإنسان ، فيَمْخُر بها عُباب الحياة بآلامها وشدائدها ومُزعجاتها ، ويصل إلى شاطىء الآخرة مطمئنَّ القلب راضياً عن الله ، فيبلغ جنَّةً عرضُها السموات والأرض ، ويدخلها بغير حساب ، حيث قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر : ١٠] .

ولقد زوَّدت هذه الرسالة بطائفة من وقائع الصَّبْر اقتبستُها من حياة أسلافنا الصالحين ، لتكون زاداً للعبد المؤمن في عصرنا الحاضر يعينه على التحلِّي بالصبر والثبات في معترك المحنة ، ويشحذ من عزيمته في تحمُّل المصائب متأسِّياً بأولئك الأسلاف الذين كتبوا أروع صفحاتِ الصَّبْر علىٰ المُصاب مهما كان أليماً .

ولقد قسمتُ هذه الرِّسالة إلىٰ خمسة أقسام :

الأول : في معنى الصَّبْر ومفهومه .

والثاني : في معاني الصَّبْر في القرآن وفي السُّنَّة وفي كلام السلف وأقوال الشعراء .

والثالث : في أنواع الصَّبْر .

والرابع : في مسالك الصَّبْر على البلاء ، وجعلتُها أربعة مسالك :

١ـ الصَّبْر علىٰ محنة الفقر .

٢ـ الصَّبْر علىٰ محنة الجوع والعطش .

٣ـ الصَّبْر علىٰ محنة المرض .

٤ـ الصَّبْر علىٰ محنة الموت .

والخامس في بيان ثمرة الصَّبْر ، وبه ختمتُ هذه الرسالة المقتضبة راجياً من الله تعالىٰ أن تُؤتي نفعها للناس ، وأن أبلغ بها القَبول عند الله ، فهو المرادُ في كلِّ حال ، وإليه المرجع والمآل .

اللَّهُمَّ تقبَّل منِّي واغفرْ لي وارحمني وتُبْ عليَّ إنَّكَ أنتَ التَّوابُ الرَّحيم والحمد لله ربِّ العالمين .

* * *

معنىٰ الصَّبْر

الصَّبْر في اللُّغة :

هو الحَبْس والكفُّ . قال الله تعالىٰ : ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف : ٢٨] .

أي : احبس نفسك عليهم .

وقال الشاعر :

صَبَرْتُ نفسي عند أهوالها وقلت من هَبْوتها : لا براحْ

أي : حبستُ نفسي عند أهوالها ، فلم أفرّ ولم أفزع .

وتصبَّر : تكلَّف الصَّبْر وحمل نفسه عليه .

وصبَّره : حمله على الصَّبْر ، وحبّبه إليه .

واصْطَبَر : تحمّل الأمر صابراً قال تعالىٰ : ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه : ١٣٢] .

الصَّبْر في الشّرْع وعند أهل الحقِّ :

هو حَبْس النَّفْس علىٰ ما تكره ابتغاء مرضاة الله .

وقالوا : الصَّبْر هو حَبْس النَّفس عن الجزع والتسخُّطِ ، وحبس اللِّسان عن الشكوى ، وحبس الجوارح عن التشويش .

وقال ذو النون : الصَّبْر التباعُدُ من المخالفات ، والسكون عند تجرُّع غُصص البليَّات ، وإظهار الغنىٰ مع طول الفقر بساحات المعيشة .

وقيل : الصَّبْر هو الوقوف مع البلاء بحُسْن الأدب .

وقيل : الصَّبْر هو الفَناء في البلوىٰ بلا ظهور شكوىٰ .

وقيل : الصَّبْر هو إلزام النَّفس الهجوم على المكاره .

وقيل : الصَّبْر هو المقام مع البلاء بحُسْن الصحبة كالمقام مع العافية .

وقال عمرو بن عثمان : الصبر هو الثبات مع الله ، وتلقّي بلائه بالرُّحْب والسَّعة .

وقال الخوّاص: الصَّبْر هو الثبات على أحكام الكتاب والسنة.

وقيل : الصَّبْر أن ترضىٰ بتلف نفسك في رضا من تحبُّه .

سأصبر كي ترضىٰ وأتلفُ حسرةً وحسبي أن ترضىٰ ويقتلني صبري

وقال الجَرِيريّ : الصَّبْر ألاّ تفرِّق بين حال النعمة وحال المحنة مع سكون الخاطر فيهما .

وقال الشيخ عبد الله الأنصاريُّ : الصَّبْر حبس النفس علىٰ المكروه وعقل اللِّسان عن الشكوى .

وقالوا : الصَّبْر كفُّ النفس وحَبْسها عن التسخُّط مع وجود الألم .

الصَّبْر في ميزان الدِّين الإسلاميّ :

الصَّبْر واجب في نظر الشَّرع الإسلاميّ ، لأنَّ الله تعالىٰ أمر به فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ٢٠٠] .

وقال : ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [النحل : ١٢٧] .

وهو نصف الإيمان ، وذلك لقوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [إبراهيم ٥ ، وسبأ : ١٩ ، والشورى : ٣٣] .

قال بعض المفسِّرين في معنى هذه الآية : لكلِّ مؤمن . وهذا ما يؤكِّده كلام ابن مسعود رضي الله عنه حيث قال :

« الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر »[1] ، وحال المؤمن تتردَّد بين الصبر والشُّكْر لقوله ﷺ :

« عجباً لأمر المؤمن إنَّ أمره كلَّه له خير وليس ذلك لأحد إلاَّ للمؤمن إن أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضرّاء صبر ، فكان خيراً له »[2] .

* * *

(١) ورواه البيهقي مرفوعاً عن أنس رضي الله عنه .
(٢) رواه مسلم .

الصَّبْر في القرآن الكريم

ذكر الله تعالىٰ الصَّبْر في القرآن الكريم في مواطن كثيرة ، وأحصاها بعضهم على اختلاف معناه وتنوُّع مؤدَّاه وتعدُّد ثمراته فوجدها خمسة عشر نوعاً :

الأوَّل ـ الأمر به :

وذلك نحو قوله تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ ﴾ [البقرة : ١٥٣] .

وقوله : ﴿ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] .

وقوله : ﴿ وَٱصْبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال : ٤٦] .

وقوله : ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ ﴾ [النحل: ١٢٧] .

الثاني ـ النهي عن ضِدِّه :

وذلك نحو قوله تعالىٰ : ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْۚ ﴾ [الأحقاف : ٣٥] .

وقوله : ﴿ فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴾ [الأنفال : ١٥] . تولية الأدبار ترك الصبر والمصابرة .

وقوله : ﴿ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ [محمد : ٣٣] . إبطالها ترك الصبر على إتمامها .

وقوله : ﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ ﴾ [آل عمران : ١٣٩] . الوهن من عدم الصبر .

الثالث ـ الثناء علىٰ أهله :

وذلك نحو قوله تعالىٰ : ﴿ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾ [آل عمران : ١٧] .

وقوله : ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٧٧] .

الرابع ـ إيجاب معيَّته تعالىٰ للصابرين :

وذلك نحو قوله تعالىٰ : ﴿ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال : ٤٦] .

وقوله : ﴿ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٤٩، والأنفال : ٦٦] .

الخامس ـ إيجاب محبته تعالىٰ للصابرين :

وذلك نحو قوله تعالىٰ : ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٦] .

السادس ـ إخباره تعالىٰ بأنَّ الصبر خير لأصحابه :

وذلك نحو قوله تعالىٰ : ﴿ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾ [النحل : ١٢٦] .

وقوله : ﴿ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [النساء : ٢٥] .

السابع ـ إيجابه سبحانه الجزاء للصابرين بأحسن أعمالهم :

وذلك نحو قوله تعالىٰ : ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل : ٩٦] .

الثامن ـ إيجابه تعالىٰ الجزاء للصابرين بغير حساب :

وذلك نحو قوله سبحانه : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر : ١٠] .

التاسع ـ إطلاق البشرىٰ للصابرين :

وذلك نحو قوله تعالىٰ : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة : ١٥٥] .

العاشر ـ ضمان النَّصر والمَدَد للصابرين :

وذلك نحو قوله تعالىٰ : ﴿ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ [آل عمران : ١٢٥] .

الحادي عشر ـ إخباره تعالىٰ بأنَّ أهل الصبر هم أهل العزائم :

وذلك نحو قوله تعالىٰ : ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الشورى : ٤٣] .

الثاني عشر ـ إخباره تعالىٰ بأنَّ أهل الصَّبْر هم أهل الحظوظ العظيمة والأعمال الصالحة والجزاء الوفير :

وذلك نحو قوله تعالىٰ : ﴿ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴾ [القصص : ٨٠] .

وقوله : ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت : ٣٤ـ٣٥] .

الثالث عشر ـ إخباره تعالىٰ بأنَّ أهل الصَّبْر هم الذين ينتفعون بالآيات والعِبَر :

وذلك نحو قوله تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [إبراهيم : ٥] .

وقوله تعالىٰ : ﴿ فَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَـٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [سبأ : ١٩] .

وقوله تعالىٰ : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [الشورىٰ : ٣٢ـ٣٣] .

الرابع عشر ـ إخباره تعالىٰ بأنَّ الصبر سبيل الفوز بالجنة والنجاة من النار :

وذلك نحو قوله تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد : ٢٢ـ٢٤] .

الخامس عشر ـ إخباره تعالىٰ بأنَّ الصَّبْر يورث صاحبه الإمامة في الدين :

وذلك نحو قوله تعالىٰ : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة : ٢٤] .

* * *

الصَّبْر في السنَّة الشريفة

لقد حضَّ النَّبي محمد ﷺ على الصَّبْر ـ وهو إمام الصابرين ـ وبيَّن معانيه ومسالكه وثماره في الدنيا والآخرة ، وجاء ذلك في أحاديث كثيرة نذكر منها ما يلي ، مع بيان أنواع الصَّبْر فيها :

الأول ـ الصبر من الإيمان :

* عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً : قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « الصَّبْر نصف الإيمان ، واليقين الإيمان كلُّه »[1] .

* عن معقل بن يسار مرفوعاً عن النَّبي ﷺ : « أفضل الإيمان الصَّبْر والسماحة »[2] .

* عن أنس بن مالك وعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا

---

(١) رواه البيهقي والطبراني .

(٢) الديلميّ في مسند الفردوس .

مرفوعاً عن النَّبي ﷺ : « الصَّبْر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجَسَد »[1] .

الثاني ـ الصبر خير عطاء :

* عن أبي يحيىٰ صُهيب بن سنان رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « عجباً لأمرِ المُؤْمِن إنَّ أمره كلَّه له خيرٌ ، وليس ذلك لأحد إلاّ للمؤمن : إنْ أصابته سرّاءُ شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضرّاء صَبَر فكان خيراً له »[2] .

* عن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنانٍ الخُدْريِّ رضي الله عنه : أنَّ ناساً من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم ، ثُمَّ سألوه فأعطاهُمْ ، حتّى نفِد ماعنده ، فقال لهم حين أنفق كلَّ شيءٍ بيده :

« ما يكنْ عندي من خيرٍ فلن أدَّخره عنكم ، ومن يستعفف يُعفَّه الله ، ومن يستغنِ يغنِه الله ، ومن يتصبَّر يُصبِّره الله ، وما أُعطي أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصَّبْر »[3] .

---

(١) رواه ابن حبان والديلمي في مسند الفردوس .
(٢) رواه مسلم .
(٣) متفق عليه .

* عن ابن عباس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال :
« واعلم أنَّ في الصَّبْر علىٰ ما تكره خيراً كثيراً »[1] .

الثالث ـ الصَّبْر عبادة :

* قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « الصَّبْر أوَّل العبادة »[2] .

* قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « انتظار الفَرَج بالصَّبْر عبادة »[3] .

الرابع ـ الصَّبْر سبيل حبِّ الله :

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إذا أحبّ الله قوماً ابتلاهم ، فمن صَبرَ فله الصَّبْر ، ومن جزع فله الجَزَع »[4] .

الخامس ـ الصَّبْر ثوابه الجنَّة :

* عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال :
« يقول الله تعالىٰ : ما لعبدي المؤمن عندي جزاءٌ إذا قبضتُ

---

(١) رواه الإمام أحمد .
(٢) رواه الطبراني والحاكم مرفوعاً في حديث طويل .
(٣) رواه القضاعي .
(٤) رواه الإمام أحمد مرفوعاً ورواته ثقات .

صفيَّه من أهل الدنيا ثُمَّ احتسبه إلاّ الجنَّة »[1] .

* عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النَّبِي ﷺ أَنَّهُ قال : « لا يذهب الله تعالىٰ بحبيبتي - أي عيني - عبدٍ فصَبَرَ ، ويحتسب إلاّ أدخله الله الجنَّة»[2] .

السادس - الصَّبْر سبيل مغفرة الذنوب :

* عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : دخلتُ مع النَّبِي ﷺ يعود زيد بن أرقم وهو يشتكي عينيه ، فقال :

« يا زيد أرأيت إن كان بصرُك لما به » قال : أصبر وأحتسب . فقال : « والذي نفسي بيده لئن كان بصرُك لما به فصبَرَت واحتسبت لتلقينَّ الله يوم القيامة ليس عليك ذنب»[3] .

* عن أبي سعيد وأبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عن النَّبِي ﷺ قال : « ما يصيب المسلم من نَصَبٍ ولا وَصَبٍ ولا همٍّ ولا

---

(١) رواه البخاري .
(٢) رواه ابن حِبّان .
(٣) رواه الإمام أحمد .

حَزَنٍ ولا أذىً ولا غمٍّ ، حتى الشوكةُ يُشاكها إلاّ كفَّر الله بها من خطاياه »[1] .

* قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « من أصيبَ بمصيبةٍ في ماله أو في نفسه فكتمها، ولم يشكُها للناس كان حقاً علىٰ الله أن يغفر له»[2].

* قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَن دُعِك ليلةً فصَبَر ورضي بها عن الله عزَّ وجلَّ خرج من ذنوبه كيوم ولدته أُمُّه »[3] .

السابع ـ الصَّبْر سبيل العتق من النار ودخول الجنة بغير حساب:

عن الحكم بن عمير الثماليّ عن النَّبي ﷺ أنَّهُ قال : «الصَّبْر والاحتساب هنَّ عتق الرِّقاب ، ويدخل الله صاحبهنَّ الجنَّة بغير حساب »[4] .

الثامن ـ الصَّبْر ضياء :

عن أبي مالك الحارث بن عاصم الأشعريِّ رضي الله عنه

---

(١) متفق عليه .
(٢) رواه الطبراني .
(٣) رواه ابن أبي الدنيا .
(٤) رواه الطبراني .

قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « الطُّهورُ شطْر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله يملآن ـ أو تملأ ـ ما بين السمٰوات والأرض ، والصلاة نور ، والصدقة بُرْهان ، والصَّبْرُ ضياءٌ ، والقرآن حجَّة لك أو عليك . كلُّ الناس يغدو ، فبائع نفسه فمعتقها ، أو مُوْبِقُها »[1] .

التاسع ـ الصَّبْر سبيل المهتدين :

عن سَخْبَرة عن النَّبِي ﷺ أنَّهُ قال :

« من ابتُلي فَصَبَر ، وأُعطي فشكر ، وظُلِمَ فغفر ، وظَلَمَ فاستغفر ، أولئك لهم الأمن وهم مهتدون »[2] .

العاشر ـ الصَّبْر طريق النَّصر :

عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « وأنَّ النَّصر مع الصَّبْر ، وأنَّ الفرج مع الكَرْب ، وأنَّ مع العُسر يُسراً »[3] .

---

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه الطبراني والبيهقي .
(٣) رواه أحمد .

الحادي عشر ـ الصَّبْر يعدل الشهادة :

عن عائشة رضي الله عنها أنَّها سألت رسول الله ﷺ عن الطَّاعون ، فأخبرها أنَّه كان عذاباً يبعثُهُ اللهُ تعالىٰ على من يشاء ، فجعله الله تعالىٰ رحمةً للمؤمنين ، فليسَ من عبدٍ يقع في الطاعون فيمكُثُ في بلدهِ صابراً مُحتسباً يعلمُ أنَّهُ لا يُصيبهُ إلا ما كتب الله له إلاّ كان له مثل أجْرِ الشَّهيد »[1] .

الثاني عشر ـ الصَّبْر سبيل الرِّضا :

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال : « الصَّبْر رضا »[2] .

الثالث عشر ـ الصَّبْر طريق السعادة :

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إنَّ السعيد لمن جُنِّب الفِتَن (قالها ثلاثاً) ، ولمن ابتُلي فصَبَر »[3] .

---

(١) رواه البخاري .
(٢) رواه الترمذي .
(٣) رواه أحمد وأبو داود .

الرابع عشر ـ الصَّبْر سلاح المؤمن :

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عن النَّبِي ﷺ أنَّه قال : « نِعْمَ سلاح المؤمن الصَّبْر والدعاء »[1] .

الخامس عشر ـ الصَّبْر أوسع أبواب الرِّزق :

عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النَّبِي ﷺ أنَّهُ قال : « ما رُزِق العبد رِزْقاً خيراً له ولا أوسع من الصَّبْر »[2] .

السادس عشر ـ متى يكون الصَّبْر :

عن أنس رضي الله عنه قال : مرّ النَّبِيُّ ﷺ بامرأةٍ تبكي عند قَبْرٍ فقال : « اتقي الله واصبري » فقالت : إليك عنِّي ، فإنَّك لم تُصَبْ بمصيبتي ، ولم تعرفه ، فقيل لها : إنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ ، فأتتَ باب النَّبِيِّ ﷺ فلم تجد عنده بوَّابين ، فقالت : لَمْ أعرفك ، فقال : « إنَّما الصَّبْر عند الصَّدْمة الأولىٰ »[3] .

---

(١) رواه الديلمي في مسند الفردوس .
(٢) رواه الحاكم .
(٣) متفق عليه .

من أقوال الصحابة
وسائر رجال السلف الصالح في الصَّبْر

* عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال :

الصَّبْر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجَسَد فإذا ذهب الصَّبْر ذَهَبَ الإيمان .

* وعنه رضي الله عنه أنَّه قال :

الصَّبْر مطيّةٌ لا تَكْبو .

* وعنه رضي الله عنه أنَّه قال يخاطب الأشعث بن قيس :

إن صبرتَ جرىٰ عليك القلم وأنت مأجور ، وإن جزعت جرى عليك القلم وأنت مأزور .

* عن عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه قال :

إنّا وجدنا خير عيشنا الصَّبْر .

* وقال رضي الله عنه :

أفضل العُدَّة الصَّبْر على الشدَّة .

* قال الحسن رضي الله عنه :

الرّضا عزيز ولكنَّ الصَّبرْ معوَّل المؤمن .

* وقال : الصَّبْر كنزٌ من كنوز الجنَّة ، لا يعطيه إلاّ لمن كرم عليه .

* وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه :

ما أنعم الله علىٰ عبد نعمة فانتزعها منه ، فعاضه مكان ما انتزع منه الصَّبْر إلاّ كان ما عاضه خيراً مما انتزع منه ، ثُمَّ تلا : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر : ١٠] .

* قال سعيد بن جبير رحمه الله تعالىٰ :

الصَّبْر على نحوين : أحدهما الصَّبْر عما حرَّم الله والصَّبْر لما افترض الله من عبادته ، فذلك أفضل الصَّبْر ، والصَّبْر الآخر في المصائب .

* قال ميمون بن مهران رحمه الله تعالىٰ :

ما نال أحد شيئاً من جسيم الخير نبيَّ فمن دونه إلاّ بالصَّبْر .

* وقال : الصَّبْر صبران : الصبر علىٰ المصيبة حسن ، وأفضل من ذلك الصَّبْر عن المعاصي .

* قال إبراهيم التيميّ رحمه الله تعالىٰ :

ما من عبد وهب الله له صَبْراً علىٰ الأذى ، وصبراً على البلاء ، وصبراً علىٰ المصائب إلاّ وقد أوتي أفضل ما أوتيه أحد بعد الإيمان بالله عزَّ وجلَّ .

* قال يحيىٰ بن مُعاذ رحمه الله تعالىٰ :

صبر المحبِّين أشدّ من صَبر الزاهدين ، واعجباً كيف يصبرون ، ثم أنشد :

والصَّبْر يُحمد في المواطن كلّها إلاّ عليك فإنَّه مذمومُ

* سُئل الإمام الجُنيد عن الصَّبْر فقال :

هو تجرُّع المرارة من غير تعبُّس .

* قال ذو النون المصريّ رحمه الله تعالىٰ :

الصَّبْر : التباعد من المخالفات ، والسكون عند تجرُّع غُصَص البليَّات ، وإظهار الغنىٰ مع طول الفقر بساحات المعيشة .

* قال أبو علي الدقاق رحمه الله تعالىٰ :

فاز الصابرون بعزّ الدارين ، لأنَّهم نالوا مع الله معيَّته ، فإنَّ الله مع الصابرين .

* قال سليمان الخوّاص رحمه الله تعالىٰ :

الصَّبْر دون الرِّضا ، والرِّضا : أن يكون الرَّجل قبل نزول المصيبة راضياً بأيِّ ذلك كان ، والصَّبْر : أن يكون بعد نزول المصيبة يَصْبِر .

* قال أحد الحكماء :

اصبِر لحكم من لا تجد معوّلاً إلاَّ عليه ولا مفزَعاً إلاَّ إليه .

* * *

أقوال في معاني الصَّبْر

قيل : الصَّبْر لله غناء ، وبالله تعالىٰ بقاء ، وفي الله بلاء ، ومع الله وفاء ، وعن الله جفاء ، والصَّبْر علىٰ الطلب عنوان الظَّفر ، وفي المحن عنوان الفرَج .

وقيل : الصَّبْر إن كان في حبس النَّفس لمصيبة سُمِّي صَبْراً ، وإن كان في حَبْس النَّفس للقتال والمحاربة سمِّي شجاعةً ، وإن كان فيما يُضجر سُمِّي حِلْماً ، وإن كان في إمساك الكلام سُمِّي كِتماناً .

قال تعالىٰ : ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾ [البقرة : ١٧٧] .

وقال : ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ﴾ [الحج : ٣٥] .

* * *

ما جاء في الشِّعْر في الصَّبْر

إنَّ الأُمور إذا سُدَّت مسالكُها فالصَّبْرُ يفتح منها كلَّ ما رُتِجا
لا تيأسنَّ وإن طالت مطالبُها إذا استعنت بصبرٍ أن ترى فرجا
أخلِق بذي الصبر أن يحظىٰ بحاجته ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

* * *

اصبِرْ ففي الصَّبْرِ خير لو علمت به لكنت باركت شكراً صاحب النِّعَمِ
واعلمْ بأنَّكَ إن لم تصطبر كَرَماً صبرتَ قَهْراً على ما خُطَّ بالقَلَمِ

* * *

وإذا بُليت فثِق باللهِ وارض به إنَّ الذي يكشف البلوىٰ هو اللهُ
إذا قضىٰ اللهُ فاستسلِمْ لقدرتهِ ما لامرىءٍ حيلةٌ فيما قضىٰ اللهُ
اليأس يقطع أحياناً بصاحبهِ لا تيأسنَّ فإنَّ الصانع اللهُ

* * *

* ونُسب لعثمان بن عفان رضي الله عنه هذه الأبيات :

خليليَّ لا والله ما من ملمَّةٍ تدوم علىٰ حيٍّ وإنْ هي جلَّتِ

فإن نزلت يوماً فلا تخضعن لها ... ولا تُكثر الشكوىٰ إذا النعل زَلَّتِ
فكم من كريمٍ قد بُلي بنوائبٍ ... فصابرها حتىٰ مضت واضمحلَّتِ
وكم غَمْرةٍ هاجت بأمواجِ غمرةٍ ... تلقَّيتها بـالصَّبْرِ حتـىٰ تجلَّـتِ
وكانت علىٰ الأيام نفسي عزيزةً ... فلما رأت صَبْري على الذُّلِّ ذلَّتِ
فقلتُ لها يا نفس موتي كريمةً ... فقد كانت الدنيا لنا ثُمَّ وَلَّتِ

* * *

صَبْراً على نُوَبِ الزمان فإنَّها ... مخلـوقـة لنكـايـةِ الأحـرارِ
لا يُكسف النجمُ الضعيف وإنَّما ... يسري الكسوف لرِفْعةِ الأقمارِ

* * *

عليك بالصَّبْر فيما قد مُنيتَ بهِ ... فالصَّبْرُ يُذهب ما في الصَّدْرِ من حَرَجِ
كم ليلةٍ من همومِ الدهر مظلمةٍ ... قد ضاء من بعدها صبحٌ من الفَرَجِ

* * *

تصبَّر ففي اللأواءِ قد يُحْمَد الصَّبْرُ ... ولولا صُروفُ الدهر لم يعرفِ الحُرُّ
وإنَّ الذي أبْلَىٰ هو العونُ فانتدب ... جميلَ الرِّضا يبقىٰ لك الذكرُ والأجْرُ
وثِق بالذي أعطى ولا تكُ جازعاً ... فليس بحزمٍ أن يُروِّعك الضُّرُّ
فـلا نِقَـمٌ تبقـىٰ ولا نِعَـمٌ ولا ... يدوم كلا الحالين عُسْرٌ ولا يُسْرُ

* * *

وإنِّي لأُغضي مقلتيّ علىٰ القَذَىٰ وألبس ثوب الصَّبْر أبيضَ أَبْلجا
وإني لأدعو الله والأمرُ ضيِّقٌ عليَّ فما ينفكُّ أن يتفرَّجا
وكم من فتىً ضاقت عليه وجوهُهُ أصاب لها في دعوة اللهِ مخرجا

* * *

الصَّبْر مثل اسمه مرٌّ مذاقتهُ لكنْ عواقبه أحلىٰ من العَسَلِ

* * *

سأصبر كي ترضىٰ وأَتْلَفُ حسرةً وحسبي أن ترضىٰ ويقتلني صَبْري

* * *

* رأى بعضهم رجلاً يشكو إلى آخر فاقةً وضرورةً ، فقال له : يا هذا ، تشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك؟ ثم أنشده :

وإذا اعترتكَ بليّة فاصبر لها صبرَ الكريم فإنَّه بك أرحمُ
وإذا شكوتَ إلى ابن آدم إنَّما تشكو الرحيم إلىٰ الذي لا يرحمُ

* * *

لا تجزعَنْ من كلِّ خطبٍ عرا لا تُري الأعداء ما يشمتوا
يا قوم بالصبر تُنال المُنىٰ إذا لقيتم فئةً فاثبتوا

* * *

اصبِرْ لكلِّ مصيبةٍ وتجلَّدِ ... واعلم بأنَّ الضرَّ غير مؤبَّدِ
واصبِرْ كما صبر الكرام فإنَّها ... نُوَبٌ تنوب اليوم تُكشف في غَدِ

* * *

يا نفسُ ما هي إلاّ صَبْرُ أيامِ ... كأن مدَّتها أضغاث أحلامِ
يا نفسُ جوزي عن الدنيا مبادرةً ... وخلِّ عنها فإنَّ العيشَ قُدامي

* * *

استعمل الصَّبْرَ تجني بعده العسلا ... وفي دُجىٰ الليل فانهضْ واهجُر الكَسَلا

* * *

أنواع الصبر

للصبر أنواع عدّة بحسب المقامات والأحوال والمقاصد ، وفي ذلك أقوال كثيرة وإيضاحات عديدة وتفسيرات متنوّعة فاضت بها خواطر العلماء ، وفاهت بها ألسنة الصالحين ، ودبّجتها أقلام المفكّرين من سلفِ أُمَّةِ الإسلام وخلفها . ولا بأس في هذا الفصل أن ننقل بعضها تنويراً وتذكيراً وتعبيراً ، لترتسم في نفس المؤمن صورة الصَّبْر في معانيه واضحةَ المعالم فينتهجه في حياته ، وتصطبغ بأنواره أحوالُه في أقواله وأفعاله .

قالوا : الصَّبْرُ على ثلاثة أنواع :

صَبْر علىٰ طاعة الله ، وصَبْر عن معصية الله ، وصَبْر على امتحان الله .

* فأمَّا الصَّبْر على طاعة الله :

فهذا ما أشار إليه قول ربِّنا تبارك وتعالىٰ : ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه : ١٣٢] .

وقوله : ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة : ٤٥] .

وهو يتعلَّق بكسب العبد ، ويكون بثلاثة أشياء :

بالمحافظة علىٰ الطاعة دواماً ، وبرعايتها إخلاصاً ، وبتحسينها علماً .

أما الشيء الأوَّل ـ فهو الذي أشار إليه ربُّنا سبحانه وتعالىٰ بقوله : ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ [المعارج : ٢٣] .

وأشار إليه الرسول الكريم ﷺ بقوله : « أحبُّ الأعمال إلى الله أدومها وإن قلَّ »[1] .

وبقوله : « يا عبد الله لا تكن مثل فلانٍ كان يقوم الليل فترك قيام الليل »[2] .

وأما الشيء الثاني ـ وهو أن يكون الباعث عليها وجه الله تعالىٰ ، فهذا الذي أشار إليه ربُّنا تعالىٰ بقوله :

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾

[المؤمنون : ١ـ٢] .

---

(١) متفق عليه .

(٢) متفق عليه .

وبقوله : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ [البيّنة : ٥] .

وأشار إليه الرسول الكريم ﷺ بقوله :

« إنَّ الله عزَّ وجلَّ لا يقبل العمل إلاّ ما كان له خالصاً ، وابتُغي به وجهه »[١] .

وأما الشيء الثالث : وهو وقوع الطاعة علىٰ مقتضىٰ العلم وموافقتها للشرع ومتابعتها للسنَّة ، فهذا ما أشار إليه رسول الله ﷺ بقوله : « صلُّوا كما رأيتموني أُصلي »[٢] ، وقوله : « خُذوا عنِّي مناسككم »[٣] ، كما أشار إليه في حديث المسيء صلاته .

*** وأمَّا الصَّبْرُ عن معصية الله :**

وهو يتعلَّق ـ أيضاً ـ بكسب العبد ، ويكون بمطالعة الوعيد ، وبمحاربة النَّفس ومنعها من مزاولة ما يُوبقها يوم الدِّين ، ويسوقها إلى العذاب الشديد . وأحسن من ذلك

---

(١) رواه أبو داود والنَّسائيّ .
(٢) أخرجه البخاري .
(٣) أخرجه مسلم .

الصَّبْر عن المعصية حياءً ، وهذا ما أشار إليه رسول الله ﷺ بقوله في حقِّ سالم مولىٰ أبي حذيفة : « إنَّ سالماً شديدُ الحبِّ لله تعالىٰ لو كان لا يخاف الله ما عصاه »[1] ؛ لأنَّ مَنْ وازعُه الخوفُ ومطالعةُ الوعيد قلبُه حاضر مع العقوبة ، فهو في اجتناب المعصية مراعٍ لجانب نفسه وحمايتها من العقاب ، ومَنْ وازعُه الحياءُ قلبُه حاضرٌ مع الله ، فهو في اجتناب المعصية مراعٍ لجانب ربِّه وملاحظة عظمته ، وهذا مِن مقام الإحسان الذي فسَّره رسول الله ﷺ بقوله : « أن تعبد الله كأنَّكَ تراه . . . »[2] .

وقالوا : الصَّبْر على أداء الطاعات أكمل من الصَّبْر على اجتناب المحرَّمات ، فإنَّ مصلحة فعل الطاعة أحبُّ إلى الشَّارع من مصلحة ترك المعصية ، إذْ ترك المعصية إنَّما كان لتكميل الطاعة ، والطاعة أمر ، وجُعِل النَّهي عن المعصية صيانة لذلك الأمر ، فهو بمنزلة الحِمْية للحفاظ على سلامة البدن ، ومفسدة عدم الطاعة أبغض وأكره من مفسدة وجود

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية عن ابن عمر رضي الله عنه .

(٢) رواه مسلم .

المعصية ، لأنَّ مخالفة الأمر أشدُّ من مخالفة النَّهي ، فالأوَّل سببه الكبر والعناد والثاني سببه الغفلة والنِّسيان .

وأما الصبر على امتحان الله :

وهو ما لا كسب فيه للعبد ، ويكون بملاحظة حُسْن الجزاء ، وانتظار رَوْح الفرج ، وتهوين البليَّة بعَدِّ أيادي المنن ، وتذكُّر سوالف النِّعم .

أمّا ملاحظة الجزاء :

فهو نحو قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر : ١٠] . ونحو ما جاء عن فتح الموصلي :

أنَّه مرَّت به امرأة متعبِّدة يُقال لها (موافقة) ، فعثرت ، فسقط ظُفْر إبهامها ، فضحكت ، فقيل لها : يا موافقة ، يسقط ظُفْر إبهامِك وتضحكين؟ فقالت : إنَّ حلاوة ثوابه أزالت عن قلبي مرارة وجعه .

وأما انتظار رَوْح الفرج :

فهو نحو قوله تعالىٰ : ﴿ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ [الطلاق : ٧] .

وقوله : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾ [الطلاق : ٢ـ٣] .

ونحو قوله ﷺ : « واعلم أنَّ النَّصْر مع الصَّبْر ، والفرج مع الكرب ، وأنَّ مع العُسْر يُسْراً »(١) .

ومهما بلغت شدَّة البلاء فإنَّها تهون مع انتظار الفرج ، حيث يذوق العبد لذة الأمل بالفرج من الله ، فينسى ألم الامتحان لأنَّه في انتظار الفرج يصبح في عبادة ، وهذا ما بيَّنه رسول الله ﷺ حيث قال : « انتظار الفرج عبادة »(٢) .

وأمَّا تهوين البليَّة بعدِّ أيادي المِنَن وتذكُّر سوالف النِّعم :

فهو نحو قوله سبحانه : ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ [إبراهيم : ٣٤] .

وقوله : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل : ٥٣] .

ومن ذلك ما جاء في كُتُب التفسير أنَّ سيِّدنا أيُّوب عليه

---

(١) رواه أحمد .

(٢) رواه ابن عدي والخطيب البغدادي (وهو ضعيف) .

السلام لمَّا مرض وطال وجعه سألته زوجتُه أن يدعو الله كي يفرِّج عنه ، فقال لها : عشت سبعين سنة صحيحاً فهو قليل لله أن أصبر له سبعين سنة .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ما ابتُليت ببلاءٍ إلاّ كان لله تعالىٰ عليَّ فيه أربع نعم :

إذْ لم يكن في ديني .

وإذْ لم يكن أعظم .

وإذْ لم أحرم الرِّضا به .

وإذْ أرجو الثواب عليه .

وقالوا : إنَّ الصَّبْر ينقسم بنوع آخر من القسمة على ثلاثة أنواع :

صَبْر بالله ، وَصبْر لله ، وصَبْر مع الله .

فالصَّبْر بالله :

هو الاستعانة به ، ورؤية أنَّه هو المصبِّر ، وأنَّ صَبْر العبد بربِّه لا بنفسه ، كما قال تعالىٰ : ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل : ١٢٧] . يعني إنْ لم يُصبِّرك هو لم تَصْبِر ، فيفنى العبد

عن نفسه ، ويتحقَّق بنور « لا حول ولا قوة إلاّ بالله » عِلْماً ومعرفةً وحالاً .

والصَّبْر لله :

هو أن يكون الباعث علىٰ الصَّبْر محبَّة الله وإرادة وجهه والتقرُّب إليه لا إظهار قوَّة النَّفس والاستحماد إلىٰ الخَلْق .

والصَّبْر لله فوق الصَّبْر بالله وأجلُّ شأناً ، لأنَّ الصَّبْر لله متعلِّق بالإلهيَّة ، والصَّبْر به متعلِّق بالربوبيَّة ، وما تعلَّق بالإلهيَّة أكمل وأعلىٰ مما تعلَّق بالربوبيَّة .

ولأنَّ الصَّبْر له عبادة ، والصَّبْر به استعانة ، والاستعانة وسيلة ، والعبادة غاية ، والغاية مرادة لنفسها ، والوسيلة مرادة لغيرها .

ولأنَّ الصَّبْر له صَبْر فيما هو حقٌّ له محبوب له مرضيٌّ له ، والصَّبْر به قد يكون في ذلك وقد يكون فيما هو مسخوط له ، وقد يكون في مكروه أو مباح ، فأين هذا من هذا؟

والصَّبْر له منزلة الرُّسل والأنبياء والصدِّيقين ، قال تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾ [الرعد : ٢٢] .

وقال : ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ الطور : ٤٨] .

وأمَّا الصَّبْر به فهو مشترك بين المؤمن والكافر والبرِّ والفاجر ، فكلُّ من شهد الحقيقة الكونيَّة صَبَر به .

والصَّبْر مع الله :

هو دوران العبد مع مراد الله الدينيِّ في أحكام دينه وأوامر شرعه ، يصبر نفسه معها ، فيتوجَّه معها أينما توجَّهت ركائبها ، وينزل معها حيث استقلَّت مضاربها ، يجعل نفسه وقفاً علىٰ أوامر الله ومحابِّه .

وهو أشدُّ أنواع الصَّبْر وأصعبها ، وهو صبر الصدِّيقين ، وهذا ما قصده عمرو بن عثمان بقوله : هو الثبات مع الله ، وتلقِّي بلائه بالرّحب والسَّعَة .

* * *

مسالك الصَّبْر على امتحان الله

(الصبر على البلاء)

قال الله تعالىٰ : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة : ١٥٥ـ١٥٧] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وماله وولده حتىٰ يلقىٰ الله وما عليه خطيئة »[1] .

يمرُّ الإنسان في هذه الحياة بأنواع مختلفة من البلاء ، ويتعرَّض لصنوف متعدِّدة من الامتحان . ولقد ذكر هذان النصَّان الكريمان بعض أنواع هذا البلاء وبيَّنا ثمرة الصَّبْر في

---

(١) رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

معتركاتها ، وما أعدَّ الله تعالىٰ لصاحبه من ثواب وجزاء في الآخرة .

وفي هذا الفصل سوف نتحدَّث بعونه تعالىٰ بشيء من التفصيل عن بعض أنواع هذا البلاء ومقامات الصبر فيها ، ونذْكر طرفاً من سِيَر الصابرين ، ليكون في ذلك تسلية لقلوب أهل المصائب وأسوة لهم في الصَّبْر على ألم المصاب والثبات في ميدان المحن والابتلاء .

* * *

الصَّبْر على محنة الفقر

الفقر : هو ضِيق منافذ العيش وموارد الرزق ، والناس فيه منازل ؛ فمنهم من لا يجد شيئاً يسدُّ به رمقه ، وهذا صاحب الفقر المدْقع ، ومنهم من يجد بعض ما يسدَّ به رمقه ، ومنهم من لا يجد كفايته .

ويُعدّ الفقر محنةً وابتلاءً نظراً لما فيه من المشقّة والشدَّة على الإنسان . ولقد جعله الله تعالىٰ امتحاناً للناس واختباراً لصَبْرهم ورضاهم عنه سبحانه ، حيث قسم بينهم معيشتهم ، فمنهم من وسَّع عليه الرزق ومنه من قدره عليه ، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله سبحانه :

﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الزخرف : ٣٢] .

وفي قوله تعالىٰ : ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِ ﴾ [النحل : ٧١] .

وفي قوله : ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ﴾ [العنكبوت : ٦٢] . فالفقر رزق مضيّق ، والغنى رِزْق موسَّع .

فمن صَبَر علىٰ الفقر ، وقنع بما رزقه الله ، ورضي عنه اجتاز امتحانه بما يفضي به إلىٰ جنّة عرضها السموات والأرض ، وكان من الرابحين .

وحسبنا دليلاً علىٰ ذلك قوله ﷺ : « يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو خمسمئة عام »[1] . وقوله : « اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء »[2] . وقوله : « هل تدرون أوّل من يدخل الجنّة من خلق الله عزّ وجلّ؟ » . قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : « الفقراء المهاجرون الذين تُسَدُّ بهم الثُّغور ، وتُتَّقىٰ بهم المكاره ، ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاءً »[3] . وقوله : « إنَّ حوضي ما بين عَدَن إلىٰ عُمان أكوابُهُ عدد النُّجوم ، ماؤه أشدُّ بياضاً من الثّلْج وأحلىٰ من العسل ، وأكثر الناس وُروداً عليه فقراء المهاجرين » قلنا : يا رسول الله صِفْهم لنا ، قال : « شُعْثُ الرُّؤوس ، دُنْسُ الثِّياب الذينَ لا ينكحون المنعّمات ، ولا تُفتَحُ لهُمُ السُّدُد ،

---

(١) رواه الترمذي وابن حبان في صحيحه .

(٢) رواه الشيخان .

(٣) رواه أحمد ورواته ثقات ، وابن حبان في صحيحه مرفوعاً .

الذين يُعْطون ما عليهم ، ولا يُعطون مالهم »[1] . وقوله : « إنَّ فُقراء المسلمين يُزَفُّون كما يُزَفُّ الحمام ، فيُقال لهم : قِفوا للحساب ، فيقولون : والله ما تركنا شيئاً نُحاسبُ به ، فيقول الله عزّ وجلّ : صدق عبادي ، فيدخلون الجنَّة قبل الناس بسبعين عاماً »[2] . وقوله : « ألا أخبركم عن ملوك الجنَّة؟ » قلنا : بلىٰ يا رسول الله ، قال : « رجلٌ ضعيفٌ مستضعف ، ذو طِمْرين ، لا يؤبه له ، لو أقسم علىٰ الله لأبرَّه »[3] . وقوله : « من قلَّ مالُه ، وكثُرت عيالُه ، وحَسُنت صلاتُه ، ولم يغتب المسلمين جاء يوم القيامة ، وهو معي كهاتين »[4] .

والفقر مضمار امتحانٍ خاضه أشرافُ الخلق من الأنبياء والأولياء والصدِّيقين والصالحين . ولنا في رسول الله محمد ﷺ أُسوة حسنة وإمام مبين في الصَّبْر على محنة الفقر

---

(١) رواه الطبراني مرفوعاً ورواته رواة الصحيح ، والترمذي وابن ماجه .

(٢) رواه الطبراني وأبو الشيخ .

(٣) رواه ابن ماجه .

(٤) رواه أبو يعلىٰ والأصفهاني مرفوعاً .

وبلاء الفاقة ، فلقد عانىٰ ﷺ من الفقر الكثير حتى آخر لحظة في حياته ، فجاء في سيرته أنَّه كان يمرُّ عليه الهلال ثُمَّ الهلال ثُمَّ الهلال لا يُوقد في بيته نار ، وكانت الدنيا أبعد ما تكون عن مظاهر عيشته ووقائع حياته مع أهل بيته . فجاء أن رجلاً جاء إلى النَّبي ﷺ فقال : إنِّي مجهود ، فأرسل إلىٰ بعض نسائه ، فقالت : لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء ، ثُمَّ أرسل إلى أخرىٰ ، فقالت مثل ذلك ، حتى قلن كلهنَّ مثل ذلك ، فقال : « من يضيّف هذا الليلة؟ » ، فقال رجل من الأنصار : أنا يا رسول الله ، فانطلق به إلىٰ رحله ، فقال لامرأته : أكرمي ضيف رسول الله ﷺ .

وجاء في رواية أخرى : قال : هل عندك شيء؟ قالت : لا ، إلاّ قوت صِبياني . قال : فعلِّليهم بشيءٍ ، وإذا أرادوا العشاء فنوِّميهم ، وإذا دخل ضيفنا ، فأطفئي السِّراج ، وأريه أنَّا نأكل . فقعدوا وأكل الضيف ، وباتا طاوِيَيْن ، فلمَّا أصبح غدا إلى النَّبي ﷺ فقال : « لقد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة »[1] .

---

(١) متفق عليه .

ودخل عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوماً وهو علىٰ حصيرٍ قال : فجلستُ فإذا عليه إزاره ، وليس عليه غيره ، وإذا الحصير قد أثَّر في جنبه ، وإذا أنا بقبضة من شعيرٍ نحو الصاع ، وقَرَظ في ناحيةٍ في الغرفة ، وإذا إهابٌ معلَّق ، فابتدرت عيناي ، فقال : « ما يُبكيك يا بن الخطَّاب؟! » ، فقال : يا نبيَّ الله ، وما لي لا أبكي ، وهذا الحصير قد أثَّر في جنبك ، وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى ، وذاك كسرىٰ وقيصر في الثِّمار والأنهار ، وأنت نبيُّ الله وصفوته ، وهذه خزانتك . قال : « يا بن الخطّاب أما ترضىٰ أن تكون لنا الآخرةُ ولهم الدنيا؟ »[1] .

وعندما أتاه أحد أصحابه ، فقال له : يا رسول الله ، والله إنِّي لأحبُّك ، فقال : « انظرْ ماذا تقول؟ » قال : والله إنِّي لأحبُّك ، ثلاث مرات ، فقال : « إنْ كُنتَ تحبُّني فأعِدَّ للفقر تجفافاً ، فإنَّ الفقر أسرع إلىٰ من يُحبُّني من السَّيل إلىٰ منتهاه »[2] .

---

(١) رواه أحمد عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا .

(٢) رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

وكان ﷺ يجالس الفقراء من أصحابه ، ويسامرهم عملاً بقوله تعالىٰ : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨].

فكان إذا لقيهم استقبلهم مبتسماً ، وبدأهم بالسلام ، وقال : « الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني ربِّي أن أبدأهم بالسلام » . وروى أبو سعيد رضي الله عنه : جلستُ في عصابة من ضعفاء المهاجرين ، وإنَّ بعضهم ليستتر ببعض من العُرْي ، وقارىء يقرأ علينا ، إذ جاء رسول الله ﷺ فقام علينا ، فلمّا قام رسول الله ﷺ سكت القارىء ، فسلَّم رسول الله ﷺ ثُمَّ قال : « ما كنتم تصنعون؟ » قلنا : نستمع إلىٰ كتاب الله تعالىٰ ، فقال : « الحمد لله الذي جعل من أمتي مَنْ أُمِرتُ أن أصبر نفسي معهم » . قال : فجلس ﷺ وسطنا ليعدل نفسه فينا ، ثُمَّ قال ﷺ هكذا ، فتحلَّقوا وبرزتْ وجوهُهُم له ، فقال : « أبشروا يا صعاليك المهاجرين بالنُّور التامِّ يوم القيامة ، تدخلون الجنَّة قبل أغنياء الناس بنصف يوم ، وذلك خمسمئة عام »[1] .

---

(١) أخرجه أبو داود .

وعندما علم أنَّ أبا بكر رضي الله تعالىٰ عنه ربّما قال شيئاً يزعج هؤلاء الفقراء قال له : « يا أبا بكر ، لعلَّك أغضبتهم لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربَّك » ، فأتاهم أبو بكر فقال : « يا إخوتاه ، أغضبتكم؟ » قالوا : لا ، يغفر الله لك يا أخي[1] . وكان من دعائه ﷺ : « اللَّهُمَّ أحيني مسكيناً ، وأمتني مسكيناً، واحشُرني في زُمرةِ المساكين يوم القيامة»[2] .

وجاء في الصحيح أنَّه ﷺ مات ودرعه مرهونة عند يهوديٍّ ، وأدرك السلف رضي الله عنهم أنَّ الفقر من متاع الدنيا وزينتها ليست صفةَ نقصٍ في طُلاَّب الآخرة بل هي علامة إدراكهم ما يعملون له وبلوغهم ما يسألون الله إياه ، حيث جاء في الحديث عن أنس رضي الله عنه قال : « خرج رسول الله ﷺ يوماً وهو آخذ بيد أبي ذرٍّ ، فقال : يا أبا ذر أعلمت أنَّ بين يدي الساعة عقبةً كؤوداً لا يصعدها إلاّ المخِفُّون ، فقال رجل : يا رسول الله أمِن المخفِّين أنا أم من المثْقلين؟ قال : عندك طعام يوم؟ قال : نعم ، وطعامُ غدٍ؟

---

(١) أخرجه مسلم .

(٢) رواه الترمذي وغيره مرفوعاً .

قال : نَعَم ، وطعام بعد غدٍ؟ قال : لا . قال : لو كان عندك طعام ثلاثٍ كنت من المثقلين »[1] .

وروى النسائي وابن حبّان في صحيحه : أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال لأبي ذرٍّ : « ألا ترى كثرة المالِ هو الغِنى » ، قال : نعم يا رسول الله . قال : «إنَّما الغنىٰ غنىٰ القلب والفقر فقرُ القلب» .

فأنساهم رضي الله عنهم غنىٰ قلوبهم بالآخرة ألمَ الفقر وقسوةَ الفاقة ، فما أكثر الصفحات التي كتبتها وقائع حياتهم مفعمةً بالصبر والثبات في محنة الفقر ، وإليك صوراً منها :

علي بن أبي طالب (أمير المؤمنين) يعرض سيفه للبيع :

أخرج يعقوب بن سفيان عن مجمع بن سمعان التيميِّ ، قال :

خرج عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه بسيفه إلى السوق ، فقال : من يشتري منّي سيفي هذا؟ فلو كان عندي أربعةُ دراهم أشتري بها إزاراً ما بعتُه[2] .

---

(١) رواه الطبراني .

(٢) حياة الصحابة ٢/ ٣١٠ .

عليٌّ بن أبي طالب وفاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا بين أنياب الفقر، درعهما الصَّبْر:

عن عطاء بن السائب عن أبيه عن عليٍّ أنَّ رسول الله ﷺ لمَّا زوَّجه فاطمة بعث معها بخميلة ووسادة أَدَم حشوها ليف ورحاءين وسِقاءين ، قال : فقال عليٌّ لفاطمة يوماً : لقد شقوت حتى أسليتُ صدري ، وقد جاء الله بسبْيٍ ، فاذهبي ، فاستخدمي ـ أي اطلبي خادماً ـ فقالت : وأنا ، والله ، قد طحنتُ حتىٰ مَجلَت يداي . فأتت النَّبي ﷺ فقال : « ما جاء بكِ ، أيْ بُنيَّة؟ » ، فقالت : جئتُ لأُسلِّم عليك . واستحيتْ أن تسأله ، ورجعت ، فأتياه جميعاً ، فذكر له عليٌّ حالهما ، قال : « لا والله لا أُعطيكما ، وأدع أهل الصُّفَّة تتلوىٰ بطونهم لا أجد ما أُنفِق عليهم ، ولكن أبيع وأُنفِق عليهم أثمانهم » . فرجعا ، فأتاهما وقد دخلا في قطيفتهما إذا غطَّيا رؤوسهما بدت أقدامهما ، وإذا غطَّيا أقدامهما انكشفت رؤوسُهما ، فثارا ، فقال : « مكانَكُما ، ألا أُخبركما بخيرٍ ممَّا سألتُماني؟ » . فقالا : بلىٰ . فقال : « كلمات علَّمنيهنَّ جبريل : تُسبِّحان في دُبر كلِّ صلاةٍ عَشْراً ، وتحمدان عَشْراً ،

وتُكبِّران عَشْراً ، وإذا أَوَيْتُما إلى فراشكما سبِّحا ثلاثاً وثلاثين ، واحمدا ثلاثاً وثلاثين ، وكبِّرا أربعاً وثلاثين » .

قال عليٌّ : فوالله ، ما تركتُهنَّ مُنذ علَّمنيهُنَّ . فقال له ابنُ الكواء : ولا ليلةَ صِفِّين ! قال : قاتلكم الله يا أهل الطُّروق ، ولا ليلة صِفِّين[1] .

فراغ بيت أبي ذرٍّ رضي الله عنه من أثاث الدنيا :

دخل رجل على أبي ذرٍّ رضي الله عنه فجعل يقلِّب بصره في بيته ، فقال :

يا أبا ذرٍّ ، ما أرىٰ في بيتك متاعاً ولا أثاثاً .

فقال : إنَّ لنا بيتاً نوجِّه إليه صالح متاعنا .

فقال : إنَّه لا بُدَّ لك من متاعٍ ما دمتَ هاهنا .

فقال : إنَّ صاحب المنزل لا يدعنا فيه[2] .

---

(١) الإصابة ٤/ ٣٧٩ .

(٢) مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسي : ٣٦٨ .

فقر سعيد بن عامر وهو أمير علىٰ حمص :

لمّا أتى عمر رضي الله عنه الشامَ ، طافَ بكُورِها ، فنزل بحضرة (حمص) ، فأمر أن يكتبوا له أفقرهم ، فرُفع إليه الكتاب ، فإذا فيه سعيد بن عامر بن جُذَيْم أميرها . فقال : مَنْ سعيد بن عامر ؟ قالوا : أميرنا . قال : أميركم؟! قالوا : نعم . فعجب عمر ، ثُمَّ قال : كيف يكون أميرُكم فقيراً؟ أين عطاؤه ، فأين رزقه؟ فقالوا : يا أمير المؤمنين لا يُمسِك شيئاً . فبكىٰ عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ثُمَّ عمد إلى ألف دينارٍ فصرَّها ، ثُمَّ بعث بها إليه ، وقال : أقرئه منِّي السلام ، وقل له : بعث بهذه إليك أمير المؤمنين تستعين بها علىٰ حاجتك . فجاء بها إليه الرسول ، فنظر ، فإذا هي دنانير ، فجعل يسترجع ، فقالت له امرأته : ما شأنك يا فلان ، أمات أمير المؤمنين؟ قال : بل أعظم من ذلك . فقالت : فظهر من آيةٍ؟ قال : بل أعظم من ذلكَ . قالت : فأمرٌ من أمر الساعة؟ قال : بل أعظم من ذلك . قالت : ما شأنك؟ قال : الدنيا ، أتتني الفتنة ، دخلت عليَّ . قالت : فاصنع فيها ما شئتَ ، قال : عندكِ عون؟ قالت : نعم . فأخذ بعَتَلةٍ فصرَّ الدنانير

فيها صرّاً ، ثُمَّ جعلها في مخلاة ، ثُمَّ اعترض جيشاً من جيوش المسلمين ، فأمضاها كلُّها ، فقالت له امرأته : رحمكَ الله ، لو كنتَ حبستَ منها شيئاً نستعين به . فقال لها : إنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنّة إلىٰ أهل الأرض ملأت الأرض ريح مسك » ، وإنِّي والله ما كنت لأختاركِ عليهنَّ ، فسكتت[1] .

أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز لا يملك سوىٰ قميص واحد:

أبطأ عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يوماً عن الجمعة قليلاً ، فعُوتب في ذلك ، فقال : إنَّما انتظرتُ قميصي غسلتهُ أن يجفَّ .

ودخل مسلمةُ بن عبد الملك علىٰ عمر بن عبد العزيز في مرضه وعليه قميص وسِخ ، فقال لفاطمة زوجة عمر ، وهي أخت مسلمة بن عبد الملك : ألا تغسلوا قميصه؟ قالت : والله ما له غيره ، وإن غسلناه يبقىٰ لا قميص له[2] .

---

(١) « كتاب الزهد » للإمام أحمد : ١٨٥ .

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم .

محاورة بين رابعة العدوية وسفيان الثوريّ :

لقي سفيان الثوريُّ رحمه الله رابعة العدويَّةَ وكانت زريَّة الحال فقال لها : يا أُمَّ عمرو ، أرى حالاً رثَّة ، فلو أتيتِ جارِكِ فلاناً لغيَّر بعضَ ما أرىٰ . فقالت له : يا سفيان ، وما ترىٰ من سوء حالي؟ ألست على الإسلام ، فهو العزُّ الذي لا ذلَّ معه ، والغنىٰ الذي لا فقر معه ، والأُنس الذي لا وحشة معه ، والله إنِّي لأستحيي أن أسأل الدنيا من يملكها ، فكيف أسألها من لا يملكها؟ فقام سفيان وهو يقول : ما سمعت مثل هذا الكلام[1] .

مفتي المدينة يبيع خشب سقف بيته من شدَّة الفقر :

قال ابن القاسم :

أفضىٰ بمالك ـ رحمه الله ـ طلبُ العلم إلى أن نقض سقف بيته فباع خشبه ، ثُمَّ مالت عليه الدنيا بعد .

---

(١) وفيات الأعيان ٢/ ٢٧٦ .

وقال مالك رحمه الله : لا يُنال هذا الأمر ـ يعني العلم ـ حتىٰ يُذاق فيه طعم الفقر[1] .

إمام العربيّة الفراهيديّ يغالب الفقر بالصَّبْر :

قال النَّضْر بن شُمَيْل تلميذ الخليل بن أحمد الفراهيديِّ إمام العربيَّة الشهير : أقام الخليل في خُصٍّ من أخصاص البَصْرة ، لا يقدرُ علىٰ فَلْسَيْن ، وأصحابُه يكسبون بعلمه الأموال ، ولقد سمعتهُ يوماً يقول : إنِّي لأُغلِق عليَّ بابي فما يجاوزه همِّي .

تناوب أخوين من أهل العلم ثياب الخروج إلىٰ السُّوق :

حكى المؤرِّخ النسّابة السمعانيُّ عن شيخه أبي إسحاق عليّ بن أحمد اليَزْدِيّ : أنَّه كان له عمامة وقميص بينه وبين أخيه ، إذا خرج ذاك قعد هذا في البيت ، وإذا خرج هذا احتاج ذاك أن يقعُد[2] .

---

(١) صفحات من صبر العلماء (للشيخ عبد الفتاح أبي غدّة) : ٣٧ .
(٢) صفحات من صبر العلماء : ٦٤ .

صورة من صبر العلماء على الفقر :

قال السمعانيُّ عن شيخه عليُّ بن أحمد اليَزْديِّ :

وسمعتُه يقول يوماً ، وقد دخلتُ عليه دارَه مع عليّ بن الحسين الغَزْنويِّ الواعظ مُسلِّماً عليه ، فوجدناه عُرياناً متأزِّراً بمئزر ، فاعتذر من العُرْي وقال : نحن إذا غسلنا ثيابنا نكون كما قال القاضي أبو الطيِّب الطبريُّ :

قومٌ إذا غسلوا ثيابَ جمالِهم لَبِسوا البُيوتَ إلىٰ فراغ الغاسِلِ[1]

من ثمرة الصَّبْر على الفقر :

ذكر أبو عليّ بن شوكة قال :

اجتمعنا جماعةً من الفقهاء ، فدخلنا على القاضي أبي عليٍّ الهاشميِّ ، فذكرنا له فَقْرنا وشدَّة ضُرِّنا ، فقال لنا : اصبروا ، فإنَّ الله سيرزقكم ، ويوسِّع عليكم ، وأُحدِّثكم في مثل هذا بما تطيب به قلوبكم :

---

(١) المصدر السابق .

أذكر سنةً من السنين وقد ضاق بي الأمر شيئاً عظيماً ، حتى بِعْتُ رحلَ داري ، ونفِد جميعُه ، ونقضْتُ الطبقة الوسطىٰ من داري ، وبعتُ أخشابَها ، وتقوَّتُّ بثمنها ، وقعدتُّ في البيت فلم أخرُج ، وبقيتُ سنةً ، فلمّا كان بعد سنةٍ قالت لي المرأة : الباب يُدَقُّ ، فقلت لها : افتحي الباب ، ففعلتْ ، فدخل رجل ، فسلَّم عليَّ ، فلمّا رأىٰ حالي لم يجلس حتى أنشدني وهو قائم :

ليس من شدَّةٍ تصيبُك إلاّ ... سوف تمضي وسوفَ تُكشَف كَشْفَا
لا يضقْ ذرعُك الرّحيبُ فإن الـ ... ـنّارَ يعلو لهيبُها ثمَّ... تُطفا
قد رأينا مَنْ كان أشفىٰ على الهُلْـ ... ـكِ فوافَتْ نجاتُه حين أشفىٰ

ثمَّ خرج عنّي ولم يقعد ، فتفاءلتُّ بقوله . فلم يَخرُج اليومُ عنّي حتى جاءني رسولُ القادر بالله ، ومعه ثياب ودنانير ، وبغلة بمركب ، ثُمَّ قال لي : أجب أمير المؤمنين ، وسلَّم إليَّ الدنانير والثياب والبغلة ، فغيَّرتُ عن حالي ، ودخلتُ الحمّام ، وصِرتُ إلى القادر بالله ، فردَّ إليَّ قضاء الكوفة وأعمالها ، وأثرى حالي[1] .

---

(١) صفحات من صبر العلماء : ٤٨ .

صورة من محنة الفقر وعجيب الإيثار :

روىٰ المسعوديّ في « مروج الذَّهب » : أنَّ الواقديّ قال :

كان لي صديقان أحدهما هاشميٌّ ، وكنّا كنفسٍ واحدة ، فنالتني ضائقة شديدة ، وحضر العيدُ ، فقالت امرأتي : أمّا نحن في أنفسنا ، فنصبر علىٰ البؤس والشدَّة ، وأما صبياننا هؤلاء ، فقد قطَّعوا قلبي رحمةً لهم ؛ لأنَّهم يرون صبيان الجيران قد تزيَّنوا في عيدهم ، وأصلحوا ثيابهم وهم علىٰ هذه الحالة من الثياب الرثَّة ، فلو احتلت في شيءٍ تصرفه كسوتهم .

قال : فكتبتُ إلى صديق لي وهو الهاشميُّ أسأله التوسعة عليَّ بما حضر ، فوجَّه إليَّ كيساً مختوماً ذكر أنَّ فيه ألفَ درهمٍ ، فما استقرَّ قراري حتىٰ كتب إليَّ الصديق الآخر يشكو مثل ما شكوتُ إلىٰ صاحبي الهاشميِّ ، فوجَّهت إليه الكيس بحاله ، وخرجتُ إلىٰ المسجد ، فأقمتُ فيه ليلتي مستحيياً من امرأتي ، فلمّا دخلتُ عليها استحسنت ما كان منِّي ولم تعنِّفني عليه ، فبينما أنا كذلك إذ وافىٰ صديقي الهاشميُّ ومعه الكيس

كهيئته ، فقال لي : اصدُقني عمَّا فعلتَه فيما وجَّهت به إليك . فعرَّفته الخبر علىٰ وجهه . فقال لي : إنَّك وجَّهت إليَّ وما أملك علىٰ الأرض إلاَّ ما بعثت به إليك ، وكتبتُ إلىٰ صديقنا أسأله المواساة ، فوجَّه كيسي بخاتمي .

قال الواقديُّ : فتواسينا ألف درهم فيما بيننا ، ثُمَّ إنَّا أخرجنا للمرأة مئة درهم قبل ذلك .

ونُمي الخبر إلىٰ المأمون ، فدعاني وسألني ، فشرحت له الخبر ، فأمر لنا بسبعة آلاف دينار ، لكلٍّ واحد منَّا ألفا دينار وللمرأة ألف دينار .

* * *

الصَّبْر علىٰ محنة الجوع والعطش

وهذه المحنة متفرِّعة عن محنة الفقر ، وهي من أقسىٰ مظاهرها وأشدِّها إيلاماً ، لأنَّ الطعام والشراب قوام حياة الإنسان ، فإذا ما انقطعا عنه ذوىٰ جسمه ، وضعفت قوَّته ، وأشرفت نفسهُ على التلف ، لذلك كان من دعائه ﷺ : « اللَّهُمَّ إنِّي أعوذ بك من الجوع فإنَّه بئس الضَّجيع »[1] .

ولقد خاض الأنبياء والمرسلون والأولياء والصالحون محنة الجوع والعطش ، وكانوا فيها صابرين راضين عن الله بما قسم لهم من الأرزاق ، وقدَّر لهم من الأقوات . وإنَّ سيرة رسولنا المصطفى محمد ﷺ تُحدِّثنا عن تحمُّله ألم الجوع فتذكر أنَّه خرج ذات يومٍ علىٰ بعض أصحابه الذين أتوه وقد وضع كلٌّ واحد منهم حجراً علىٰ بطنه من شدَّة الجوع ليُسكت

---

(١) كنز العمال ٢/ ٣٦٨٩ .

ألمه ، فكشف لهم رسول الله ﷺ عن بطنه ، فوجدوه قد وضع حجرين من شدَّة الجوع الذي أصابه .

ودخل عليه أبو هريرة رضي الله عنه مرّةً فرآه يصلي قاعداً فلما أنهى صلاته سأله : ما أقعدك في صلاتك يا رسول الله أهو المرض ؟ فأجابه قائلاً : « لا ، إنَّما أقعدني الجوع » .

ولم ينس التاريخ صحيفة المقاطعة التي تعاهد عليها زعماء المشركين ضدَّ رسول الله ﷺ في مكَّة أن يقاطعوه وأهله من بني هاشم ، فمكث مع أهله وسائر عشيرته الأقربين من بني هاشم في شِعْب أبي طالب ثلاثَ سنين اشتدَّ عليهم خلالها الجوع والعطش حتى أكلوا ورق الشجر فتشقَّقت من أكله أشداقُهم . وكم جاء في سيرته ﷺ أنَّه كان يبيت مع زوجته طاوياً لا يجد في بيته ما يسدُّ رمقه ، وكان يدخل على أهله فيسألهم أعندكم طعام ، فإذا اعتذروا قال : « إذاً أنا اليوم صائم » ، ورُبَّما كان يظلُّ اليوم كلَّه يلتوي ما يجد من الدَّقل ما يملأ به بطنه[1] .

وإذا انتقلنا إلىٰ الصحابة الكرام وجدناهم قد خاضوا محنة

---

(١) رواه مسلم عن عمر بن الخطاب .

الجوع والعطش بصَبْر وعزيمة ، وتعرَّضوا فيها لأشدِّ أنواعها ، فكان أحدهم يلتوي من شدَّة الجوع ، وربَّما سقط مغشياً عليه من وطأة العطش ، وما أكثر ما قرأنا عن أهل الصُّفَّة وعن معاناتهم في ذلك ، وحسبك أن تعلم أنَّه جاء في سيرتهم ـ رضي الله تعالىٰ عنهم ـ أنَّهم أتت عليهم شدَّة حتىٰ كان السبعة منهم يتعاورون مصَّ تمرة واحدة ، ليُسكِّنوا بذلك ألم جوعهم .

وكذلك سائر سلفنا الصالح لقد امتلأت سيرة حياتهم بوقائع الصَّبْر علىٰ محنة الجوع ، وإليكَ شواهدَ من ذلك تتخذ منها لنفسك سبيل هداية ورُشد في ظلِّ الثبات في مُعتَرَك محنة الجوع والعطش إن ألمَّت بك يوماً، وطالتكَ براثنُها الموجعة :

الإمام عبد القادر الجيلاني يأكل المنبوذات من الجوع :

قال الشيخ عبد القادر :

كنت أقتات بحُرنوبِ الشوك ، وقُمامة البَقْل ، وورقِ الخسِّ من جانب النَّهر والشطِّ ، وبلَغْت الضائقة في غلاءٍ نزلَ ببغداد ، إلى أن بقيتُ أياماً لم آكلْ فيها طعاماً ، بل كنت أتتبَّع المنبوذات أطعمها .

فخرجت يوماً من شدَّة الجوع إلى الشطِّ ، لعلِّي أجِدُ ورق الخَسِّ أو البقل أو غيرَ ذلك فأتقوَّتَ به؟ فما ذهبتُ إلىٰ موضع إلاّ وغيري قد سبقني إليه ، وإن وجدتُ أجِدُ الفقراء يتزاحمون عليه فأتركه حُبّاً ، فرجعت أمشي وسط البلد فما أُدرِكُ منبوذاً إلاّ وقد سُبقتُ إليه ، حتىٰ وصلتُ إلى مسجد ياسين بسوق الرَّياحين ببغداد ، وقد أجهدني الضعف ، وعجزتُ عن التماسك ، فدخلتُ إليه ، وقعدتُ في جانبٍ منه ، وقد كدتُ أُصافح الموت ، إذ دخل شابٌّ أعجميٌّ ، ومعه خبز صافٍ وشُواء ، وجلس يأكل ، فكنت أكادُ كلَّما رفع يده باللُّقمة أفتح فمي من شدة الجوع ، حتى أنكرتُ ذلك على نفسي فقلت : ما هذا؟ وقلت : ما ها هنا إلاّ الله أوْ ما قَضاه من الموت .

إذ التفت إليَّ العجميّ ، فرآني ، فقال : بسم الله يا أخي ، فأبيتُ ، فأقسم عليَّ فبادرَتْ نفسي ، فخالفتُها ، فأقسم أيضاً ، فأجبته ، فأكلتُ متقاصراً ، فأخذ يسألني : ما شُغْلُكَ؟ ومن أين أنت؟ وبمن تُعْرَف؟ فقلتُ : أنا متفقِّه من جيلان ، فقال : وأنا من جيلان ، فهل تعرف شابّاً جيلانياً يُسمىٰ عبد القادر ، يُعرَف بسبط أبي عبد الله الصَّوْمَعيِّ الزاهد؟ فقلت : أنا هو . فاضطربَ وتغيَّر وجهُه وقال : والله لقد

وصلتُ إلىٰ بغداد ومعي بقيّة نفقة لي ، فسألتُ عنك فلم يُرشِدني أحد ، ونفِدت نفقتي ولي ثلاثة أيّام لا أجدُ ثمن قُوتي إلاّ ما كان لك معي ، وقد حلَّت لي الميتة ، وأخذت من وديعتك هذا الخبز والشّواء ، فكُلْ طيِّباً ، فإنّما هو لك وأنا ضيفُك الآن بعد أن كنتَ ضيفي .

فقلت له : وما ذاك؟ فقال : أُمُّك وجَّهَتْ لك معي ثمانية دنانير ، فاشتريتُ منها للاضطرار ، فأنا معتذر إليك ، فسكّنتُه وطيّبتُ نفسَه ، ودفعتُ إليه باقي الطعام وشيئاً من الذهب برسم النفقة ، فقبِلَه ، وانصرف[1] .

إشراف الإمام محمد بن نصر المروزيّ على الموت من شدة العطش :

قال الإمام محمد بن نصر المروزيّ :

خرجتُ من مصر ومعي جارية لي ، فركبتُ البحر أريد مكّة ، فغرِقْتُ ، فذهب مني ألفا جُزء ، وصرتُ إلىٰ جزيرة أنا وجاريتي ، فما رأينا فيها أحداً ، وأخذني العطش ، فلم أقدر

---

(١) صفحات من صبر العلماء : ٦٠ .

علىٰ الماء ، وأُجهِدتُ ، فوضعتُ رأسي على فخذ جاريتي مستسلماً للموت ، فإذا رجلٌ قد جاءني ومعه كوز ، فقال لي : اشرب ، فأخذتُ فشربتُ وسقيتُ الجارية ، ثُمَّ مضى ، فما أدري من أين جاء ولا من أين ذهب[1] .

ابن خِراش يشرب بوله من شدة العطش :

كان عبد الرحمن بن يوسف بن خِراش المروزيُّ حافظَ زمانه وإمام عَصره ، كان واسع الرحلة في طلب العلم يمشي في الفلوات والقفار لتحصيل الحديث وتلقيه من أهله فيناله العطش في طريقه ، فيضطر بسبب شدَّة العطش إلى أن يشرب بوله . ولقد صرَّح بذلك كما نقل عنه بكر بن حمدان المروزيُّ حيث قال : سمعت ابن خِراش يقول : شربتُ بولي في طلب هذا الشأن خمس مرّات[2] .

محدِّث ينقطع عن سماع الحديث بسبب الجوع :

قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم الرازي :

سمعت أبي يقول : بقيت بالبصرة في سنة أربع عشرة

---

(١) صفحات من صبر العلماء : ٦٢ .

(٢) المصدر السابق : ٦٢ .

ومئتين : ثمانية أشهر ، وكان في نفسي أن أُقيم سنة ، فانقطعت نفقتي ، فجعلت أبيع ثياب بدَني شيئاً بعد شيءٍ ، حتى بَقيتُ بلا نفقة ، ومضيتُ أطوفُ مع صديق لي إلىٰ المشيَخة ، وأسمع منهم إلىٰ المساء ، فانصرف رفيقي ، ورجعتُ إلى بيتٍ خالٍ ، فجعلت أشرب الماء من الجوع . ثم أصبحت من الغد ، وغدا عليَّ رفيقي ، فجعلتُ أطوف معه في سماع الحديث على جُوع شديد ، فانصرف عني ، وانصرفتُ جائعاً ، فلما كان من الغد غدا عليّ فقال : مُرَّ بنا إلىٰ المشايخ ، فقلتُ : أنا ضعيف لا يمكنني قال : ما ضعفُك؟ قلت : لا أكتُمكَ أمري ، قد مضى يومان ما طعمتُ فيهما شيئاً ، فقال لي : قد بقي معي دينار ، فأنا أواسيك بنصفه ، ونجعل النصف الآخر في الكِراء ، فخرجنا من البصرة ، وقبضتُ منه النصف دينار[1] .

عالم يغالب الجوع والعطش بالصبر :

قال الإمام إبراهيم بن إسحاق الحربيّ :

أفنيتُ من عُمري ثلاثين سنةً برغيفين إن جاءتني بهما أُمِّي

---

(١) صفحات من صبر العلماء .

أو أُختي أكلتُ ، وإلاّ بقيتُ جائعاً عطشان إلى الليلة الثانية ، وأفنيتُ ثلاثين سنة من عمري برغيف في اليوم والليلة ، إن جاءتني امرأتي أو إحدى بناتي به أكلتُه ، وإلاّ بقيتُ جائعاً عطشان إلىٰ الليلة الأخرىٰ .

وقال أبو القاسم بن الجَبَليّ :

اعتلَّ إبراهيم الحربيُّ علَّةً حتىٰ أشرف على الموت ، فدخلتُ إليه يوماً فقال لي : يا أبا القاسم : أنا في أمرٍ عظيم مع ابنتي ، ثم قال لها : قومي اخرُجي إلى عمِّك ، فخرجت وألقتْ علىٰ وجهها خِمارها ، فقال إبراهيم : هذا عمُّكِ كلِّميه ، فقالت لي : يا عمُّ نحن في أمر عظيم لا في الدنيا ولا في الآخرة الشهرَ والدهرَ ما لنا طعام إلاّ كِسَرٌ يابسة وملح ، وربما عدمنا الملح ، وبالأمس قد وجَّه إليه المعتضد مع بَدْرٍ ألفَ دينار فلم يأخذها ، ووجَّه إليه فلان وفلان ، فلم يأخذ منها شيئاً وهو عليل .

* * *

الصَّبْر على محنة المرض

المرض ابتلاء يبتلي به الله تعالىٰ الخلقَ في أجسامهم تنحلُّ به قُواهم ، وتضعف معه عزائمهم ، وتذوي أبدانهم ، ويقلُّ نشاطهم ، وتضطرب بسببه وظائف أجسادهم وتنتابهم الآلام والأوجاع ، وتتفاوت وطأة ذلك عليهم شدَّة وضعفاً ، وتختلف معه أحوالهم ما بين مريض سرعان ما يشفىٰ من دائه ويبرأ من علَّته ، وآخر تستمرُّ العلَّة في جسمه مدَّةً طويلةً من الزمان ، وثالث يبرِّح به ألم الداء وتشتدُّ عليه الأوجاع ، فلا يرقأ له جَفن ولا تغمض له عين ، ورابع يعصف المرض ببدنه عصفاً حتىٰ يُفضي به إلى الموت .

وهذه المحنة لم ينج منها أفاضل الناس والصالحون من عباد الله ، بل هي ابتلاء خاضه الأنبياء والمرسلون والأولياء والمتقون ، فكانوا فيه مثال الصَّبْر والرضا عن الله تعالىٰ .

ولقد حدَّثَنا القرآن الكريم عن بعض الأنبياء الذين خاضوا محنة المرض ، وضربوا فيها الأمثلة العظيمة لواقع الصَّبْر على

البلاء ، فكانوا نبراس الصابرين . فحدَّثنا عن أيوب عليه السلام وعن محنة مرضه التي خاضها بصبر ورضا وتسليم حتىٰ غدا مضرب المثل في الصبر ، فصار يقال : صبرٌ كصبر أيوب ، وفي ذلك قال الشاعر :

وفي أيُّوبَ قُدْوَتُنا ... إذا ما استفْحَلَ الكَرْبُ
لنا في صَبْرِهِ وَزَرٌ ... يزولُ بنُورِهِ الخَطْبُ

فقال الله تعالىٰ : ﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴾

[الأنبياء: ٨٣ـ٨٤] .

وجاء أنَّ أيُّوب عليه السلام صبر على البلاء في جسمه مدَّة ثماني عشرة سنة ، ورُوي أنَّ زوجه طلبت منه أن يدعو الله أن يشفيه فسألها : كم مكثنا في الرّخاء؟ قالت : سبعين عاماً ، فقال لها : ويحك كنا في النعيم سبعين عاماً ، فاصبري حتى نكون في الضرِّ سبعين عاماً .

ورُوي : أنَّه قال لها : إنِّي لأستحيي من الله أن أسأله أن يشفيني وما قضيتُ في بلائي ما قضيتهُ في رخائي .

وحدَّثنا القرآن الكريم عن مرض يعقوب عليه السلام بسبب حزنه على ولده يوسف عليه السلام وعن الغشاوة التي أصابت عينيه فقال تعالىٰ :

﴿ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [يوسف: ٨٤] .

ثُمَّ حدَّثنا القرآن بعد ذلك عن شفائه وزوال الغشاوة عن عينيه ورجوع الرؤية إليهما ، فقال سبحانه علىٰ لسان يوسف عليه السلام : ﴿ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا ﴾ [يوسف: ٩٣] .

وقال تعالىٰ بعد ذلك : ﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

[يوسف: ٩٦] .

وحدَّثنا القرآن الكريم أيضاً عن مرض ذي النون (يونس عليه السلام) عندما التقمه الحوت ثُمَّ لفظه إلى اليابسة ، فقال تعالىٰ :

﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴾ [يونس: ١٣٩-١٤٦] .

وأمّا رسول الله محمد ﷺ فلقد مرَّ بمحنة المرض على أشُدِّها حتىٰ كان يقول عن نفسه : « إنِّي أوعك كما يوعك رجلان منكم » .

وكان في الصبر القدوة والنبراس المبين للناس أجمعين . وما أكثر ما كان يصاب بالحُمّىٰ فيتململ على فراشه ، ويتقلَّب فوقه من شدَّة وطْئها ، ولا يقول إلاّ خيراً ورضا عن الله . فقد أخرج ابن ماجه والحاكم عن أبي سعيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أنَّه دخل على رسول الله ﷺ ، وهو موعوك عليه قطيفة ، فوضع يده فوق القطيفة ، فقال : ما أشدَّ حُمَّاك يا رسول الله؟ قال : « إنّا كذلك يُشدَّد علينا البلاء ، ويُضاعف لنا الأجر » ، ثُمَّ قال : يا رسول الله ، مَنْ أشدُّ الناس بلاءً ؟ قال : « الأنبياء » ، قال : ثُمَّ مَنْ؟ قال : « العلماء » ، قال : ثُمَّ مَنْ؟ قال : « الصالحون ، وكان أحدهم يُبتلىٰ بالقمل حتىٰ يقتله ، ويُبتلىٰ أحدهم بالفقر حتى ما يجد إلاّ العباءة يلبَسُها ، وَلأَحدهم كان أشدَّ فرحاً بالبلاء من أحدكم بالعطاء » .

وأخرج البيهقيّ عن أبي عبيدة بن حُذيفة رضي الله عنه عن عمَّته فاطمة رضي الله عنها قالت :

« أتينا رسول الله ﷺ في نساءٍ نعوده وقد حُمَّ ، فأمر بسقاءٍ فعُلِّق

علىٰ شجرةٍ ، ثُمَّ اضطجع تحته ، فجعل يقطر علىٰ فواقه من شدَّة ما يجد من الحُمّىٰ ، فقلت : يا رسول الله ، لو دعوت الله أن يكشف عنك ، فقال : « إنَّ أشدَّ الناس بلاءً الأنبياء ، ثُمَّ الذين يلونهم ، ثُمَّ الذين يلونهم ، ثُمَّ الذين يلونهم » .

وأخرج الحاكم والبيهقيُّ عن عائشة رضي الله عنها أنَّ رسول الله ﷺ طرقه وَجَعٌ ، فجعل يشتكي ، ويتقلَّب علىٰ فراشه ، فقالت له عائشة : لو فعل هذا بعضنا وجَدتَ عليه ، فقال : « إنَّ المؤمنين ليُشدَّد عليهم ، وإنَّه ليس مِنْ مؤمنٍ تُصيبه نكبة شوكة ولا وجع إلاّ كفَّر الله عنه بها خطيئة ، ورفع له بها درجةً » .

وكان ﷺ يحُضُّ المسلمين على الصَّبْر علىٰ محنة المرض، ويبيِّن لهم أنَّه تنقية وترقية ؛ فهو يُنقِّي صاحبه من الذُّنوب بصَبْره ورضاه عن الله ، وسبيل ترقيته في درجات الجنَّة ، فجاء في الحديث عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « ما يصيب المسلم مِنْ نَصَبٍ ولا وَصَبٍ ، ولا همٍّ ولا حزن ، ولا أذىً ، ولا غمٍّ حتّىٰ الشوكة يُشاكها إلاّ كفّر الله بها من خطاياه[1] » .

---

(١) متفق عليه.

وعندما أُصيبت عين قتادة في غزوة أُحد أتىٰ رسول الله ﷺ وعينه في كفِّه يسأله أن يردَّها إلىٰ مكانها ، فقال له ﷺ : « أتصبر ولك الجنَّة ؟ » ، فقال قتادة : أُريد عيني والجنّة ، فردَّها رسول الله ﷺ إلى مكانها ، فأصبح قتادة يرىٰ بها أشدَّ ممّا كان يرىٰ بعينه السليمة .

وقال رسول الله ﷺ ـ فيمَنْ ابتُلي بمرض العين أو فقدها ـ : « إنَّ الله عزَّ وجلَّ قال : إذا ابتليتُ عبدي بحبيبتيه ـ يريد عينيه ـ فصبَرَ ، عوَّضته منهما الجنّة » .

ولقد خاض السلف الصالح رضي الله عنهم من الصحابة والتَّابعين ومن جاء بعدهم محنة المرض بمختلف أنواعه ، فكانت حياتهم تكتب وقائعُها أجلى معاني الصبر وأصدقها ، وإليك طرفاً من ذلك تجد فيه هدايةً وذِكْرىٰ :

صَبْر امرأة من المسلمين علىٰ داء الصَّرْع :

جاء في مسند الإمام أحمد عن عطاء بن أبي رباح رَضِيَ اللهُ عَنْه قال :

قال لي ابن عبّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ألا أُريك امرأةً من أهل الجنّة؟ قلت: بلىٰ، قال : هذه السوداء، أتت رسول الله ﷺ ، فقالت :

إنِّي أُصرَع ، وأنكشف ، فادع الله لي ، قال : « إن شئتِ صبرتِ ولك الجنَّة ، وإن شئت دعوتُ الله لك أن يعافيك » ، قالت : لا ، بل أصبر ، فادعُ الله ألاّ أنكشف ، ولا ينكشف عنِّي . قال : فدعا لها .

صبر زيد بن أرقم على العمىٰ :

جاء عند أبي يعلىٰ وابن عساكر عن زيد بن أرقم رضي الله عنه أنَّ النَّبي ﷺ دخل عليه يعوده من مرض كان به ، فقال : « ليس عليك من مرضك هذا بأس ، ولكن كيف بك إذا عُمِّرت بعدي فعميت؟ » قال : إذاً أصبر وأحتسب ، قال : « إذاً تدخل الجنَّة بغير حساب » . فعمي بعد ممات النبي ﷺ .

من صبر أبي بكر الصديق علىٰ المرض :

أخرج ابن سعد وابن أبي شيبة وأحمد في الزهد وأبو نعيم في الحلية :

دخل على أبي بكر رضي الله عنه ناس يعودونه في مرضه ، فقالوا : يا خليفة رسول الله ، ألا ندعو لك طبيباً ينظر إليك؟

قال : قد نظر إليّ ، قالوا : فماذا قال لك؟ قال : قال : إنّي فعّال لما أريد .

من صبر أبي الدَّرْداء علىٰ المرض :

أخرج ابن سعد وأبو نُعيم في الحلية عن معاوية بن مرَّة :

مرض أبو الدرداء رضي الله عنه ، فدخل عليه أصحابه ، فقالوا : ما تشتكي يا أبا الدرداء؟ قال : أشتكي ذنوبي ، قالوا : فما تشتهي؟ قال : أشتهي الجنَّة ، قالوا : أفلا ندعو لك طبيباً؟ قال : هو الذي أضجعني .

صبر أبي عُبَيْدة بن الجرّاح علىٰ مرضه بالطاعون وفرحه به :

جاء في منتخب كنز العمال :

أرسل معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى أبي عُبَيْدة بن الجراح يسأله كيف هو؟ ـ وقد طُعِن ـ فأراه أبو عبيدة طعنة خرجت في كفِّه ، فتكاثر شأنُها في نفس الحارث ، وفرق منها حين رآها ، فأقسم أبو عُبَيدة بالله ما يحبُّ أنَّ له مكانها حُمْرَ النَّعَم .

صَبْر عُروة بن الزبير علىٰ ألم قَطْع رجله :

وقعت في رِجْل عُرْوة بن الزُّبَيْر الإكْلَة ـ الحِكَّة والجرب ـ فقال له الوليد بن عبد الملك : اقطعها وإلاّ أفسدَتْ عليك جَسَدك . ولمّا دُعي الجزّار ليقطعها، قالوا له : نسقيك الخمر حتىٰ لا تجدَ ألماً ، فقال : لا أستعينُ بحرام الله علىٰ ما أرجو من عافية . قالوا : فنسقيك المُرْقِد ـ دواء منوِّم ـ قال : ما أُحِبّ أن أُسلَب عُضْواً من أعضائي ، وأنا لا أجدُ ألم ذلك فأحتسبه .

ودخل عليه قومٌ فأنكرهم ، فقال : ما هؤلاء؟ قالوا : يُمسكونك ، فإنَّ الألم رُبَّما عزَبَ معه الصَّبْر ، قال : أرجو أن أكفيكم ذلك من نفسي . فقُطِعت كعبه بالسكِّين ، حتّىٰ إذا بلغ القَطْعُ العظمَ وُضِعَ عليها المنشار فقُطِعت ، وهو يُهلِّلُ ويُكبِّر ، ولم يُمسِكْه أحد . ثُمَّ إنَّه أُغلي له الزيت في مغارِف الحديد ، فحُسِم به ، فغُشِي عليه ، فأفاق وهو يَمْسَح العَرَق عن وجهه ، وقال : ﴿ لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴾ [الكهف : ٦٢] .

ولمَّا رأىٰ القَدَم بأيديهم ، دعا بها فقلَّبها في يده ، ثُمَّ

قال : أما والذي حملني عليكِ إنَّه ليعلم أنّي ما مشيتُ بكِ إلىٰ حرام .

امرأة يسقط ظفر إبهامها فتضحك :

قال أبو عبد الله الحُصريُّ : سمعت فتحاً الموصلي يقول :

مرَّت بي امرأة متعبِّدة يُقال لها : (موافقة) ، فعثرت ، فسقط ظُفْر إبهامها فضحكتْ ، فقيل لها : يا موافقة ، يسقط ظُفْر إبهامك وتضحكين؟ فقالت : إنَّ حلاوة ثوابه أزالت عن قلبي مرارة وجعه[1] .

الصبر على المصاب طريق الجنَّة :

قال عبد المؤمن بن عبد الله القُرشِيُّ :

ضربت أُمَّ إبراهيم العابدة دابة ، فكسرتْ رجلَها ، فأتاها قوم يُعزُّونها ، فقالت : لولا مصائب الدنيا ورَدْنا الآخرة مفاليس[2] .

* * *

---

(١) صفوة الصفوة (٤/ ١٩١) .

(٢) صفوة الصفوة (٤/ ٣٨) .

الصَّبْر علىٰ محنة الموت

الموتُ يُعَدُّ من أشدِّ المحن التي تصيب الناس ومن أقسىٰ الغَمَرات التي يخوضها الإنسان في واقع الحياة . ولقد سمّاه الله تعالىٰ مصيبةً فقال :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [المائدة : ١٠٦] .

والموت حقٌّ كتبه الله تعالىٰ علىٰ جميع الخلق فقال : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [آل عمران : ١٨٥ ، والأنبياء : ٣٥، والعنكبوت : ٥٧] .

وبيَّن الله تعالىٰ أنَّ في الحياة والموت ابتلاءً للإنسان ، فمن اغتنم حياته بالطاعة وأحسن العمل فاز بالجنّة ، ومن لم يغتنم حياته بما يرضي الله ولم يُحسِن العمل ، كان من الخاسرين . فقال في ذلك جلَّ ذكره : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ [الملك : ٢] .

وبيَّن سبحانه أنَّ لكلِّ مخلوق أجلاً ، فإذا ما انتهىٰ ، فلن يستطيع أحد من الخَلْق أن يزيد في عمره لحظة أو يؤخِّر الموت عنه لحظة ، فقال جلَّ في علاه : ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف : ٣٤] .

والموت يُدركُ مَنْ كُتِب عليه أينما كان وحيثما حلَّ ، فلقد قال تعالىٰ : ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء : ٧٨] .

وإذا حان الأجل فلن تفيد الأموال ولا الأنصار ولا الحصون ولا الدروع ولا الحُرّاس في دفعه عمّن انتهى أجله .

إذ قال سبحانه : ﴿قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران : ١٦٨] .

وقال : ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ [الجمعة : ٨] .

ورحم الله الشاعر[1] حيث قال :

لا تأمن الموتَ في طَرْفٍ ولا نفسِ ... ولو تسنَّرت بالأبوابِ والحرسِ

واعلم بأنَّ سهام الموتِ قاصدةٌ ... لكلِّ مدَّرعٍ منّا ومتَّرسِ

---

(١) الشاعر أبو العتاهية .

فالعاقل من الخَلْق من اغتنم حياته بما ينفعه في آخرته ، فعمل لما بعد الموت . والعاجز مَنْ أهمل العمل ليوم الحساب ، وقَصَر همَّه على الدنيا وشهوات الحياة . قال الله تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ [الحشر : ١٨ـ١٩] .

وقال رسول الله ﷺ : « الكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أَتْبع نفسه هواها وتمنّىٰ علىٰ اللهِ الأماني »[1] .

وجاء في حديث آخر قال ﷺ : « اغتنم خمساً قبل خمس : حياتَك قبل موتك ، وصحَّتك قبل سقمك ، وفراغك قبل شُغلك ، وشبابك قبل هرمك ، وغناءَك قبل فقرِك »[2] .

فيجب على العبد أن يحاسب نفسه ويتدارك تقصيره قبل

---

(١) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه عن شدّاد بن أوس .

(٢) رواه البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما وأحمد في الزهد . قال المناوي : إسناده حسن .

فوات الأوان ، فإن الله تعالىٰ يقبل توبة العبد ما لم يغرغر ، وأمَّا إذا نزل فيه الموت ، وبلغت روحه الحلقوم ، فلن ينفعه حينئذٍ الندم ، ولن يفيده تمنٍّ ولا رجاء، وهذا ما صرَّح به القرآن الكريم تذكرةً للعباد إذ قال الله سبحانه :

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون : ٩٩-١٠٠] .

ورضي الله تعالىٰ عن سيدنا عمر بن الخطاب عندما قال في هذا المقام : (حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم فاليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل)[1] .

وعلىٰ المؤمن إذا نزلت به مصيبة الموت أن يتجمَّل بالصبر والرضا والتسليم لله سبحانه ، وفي ذلك برهانٌ علىٰ إيمانه بالله ، وسبيلٌ للفوز بنعيم الجنان ورضا الرَّحمن والنجاة من النيران ، وحسبنا دليلاً على ذلك قوله سبحانه وتعالىٰ : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ

---

(١) مختصر منهاج القاصدين : ٣٧٢ .

رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة : ١٥٥ـ١٥٦] . وقوله ﷺ : « يقول الله عزَّ وجلَّ : ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيَّه من أهل الدنيا ثُمَّ احتسبه إلاّ الجنَّة »[1] .

ولقد مُنِي بمصيبة الموت بسطاءُ الناس وأشرافُهم ، فأُصيب بها حتى الأنبياء والمرسلون والأولياء والصالحون ، ولكنَّهم كانوا رغم شدَّة وقعها من الصابرين لا يعرف الجزع سبيلاً إلىٰ نفوسهم ، وإنّما كان لسان حالهم ومقالهم أمام محنة الموت : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦] . وحسبك منهم أشرف الخلق وسيِّد الكائنات رسولنا الكريم محمد ﷺ ، فإنَّه لم تنزل مصيبة الموت بأحد مثل ما نزلت به صلوات الله وسلامه عليه ، فلقد مات أبوه وهو جنين في بطن أمه ، ثم ماتت أُمُّه بعد ذلك وهو ابن ستِّ سنين ـ أي في السنِّ التي يكون فيها الطفل في أمسِّ الحاجة إلى حنان الأم وعطفها ورعايته ـ ثُمَّ مات جدُّه عبد المطلب الذي كفل طفولته وأغدق عليه من عطفه وحَدَبه ورحمته وهو ابن ثماني سنوات ، وانظر كم يكون أسى الصبيّ علىٰ فراق جدِّه في تلك السنّ حيث

---

(١) رواه البخاري وأحمد عن أبي هريرة .

لا أب له يرعاه سواه ، ثُمَّ مات عمُّه أبو طالب الذي كفله بعد جده والذي كان يدفع عنه خطر المشركين ، ويبدِّد عنه تآمرهم إذ كانوا يهابونه ويعملون له حساباً إلى أن مات ، وماتت زوجته في العام نفسه الذي مات فيه عمه ، وما أكثر ما حدَّثتنا السيرة المطهَّرة عن مناصرة السيدة خديجة الكبرى رضي الله عنها لزوجها سيدنا رسول الله ﷺ وتثبيتها له علىٰ دعوته ووقوفها إلىٰ جانبه ، فكان في فراقها وقع شديد الألم علىٰ رسول الله ﷺ شأن موت عمِّه أبي طالب حتىٰ سُمِّي العام الذي ماتا فيه عامَ الحُزْن .

ومات في حياته ﷺ أولادُه ذكوراً وإناثاً إلاّ ابنته السيدة فاطمة رضي الله عنها التي لحقت به بعد موته بستة أشهر ، ومات في حياته من أولاد أولاده كما جاء في خبر ابنته زينب رضي الله عنها عندما مات ولدها ، فأرسلت إليه تُعلِمه بنبأ وفاته ، ومات عمُّه حمزة شهيداً في أُحُد ، فلمَّا دخل المدينة ومرَّ بدارٍ من دور الأنصار من بني عبد الأشهل وظفر ، فسمع البكاء والنواح علىٰ قتلاهم ذرفت عيناه ، فبكىٰ ، ثم قال : « لكن حمزة لا بواكيَ له » ، فما كان من نساء بني عبد الأشهل إلاّ أن تحزَّمن وأتين يبكين علىٰ حمزة عمِّ

رسول الله ﷺ ، ولمَّا سمع الرسول الكريم ﷺ بكاءهنَّ خرج عليهنّ وهنَّ علىٰ باب مسجده يبكين ، فقال : « ارجعن يرحمكنَّ الله فقد آسيتُن بأنفسكُن »[1] .

ومات من أصحابه من مات في حياته وبين يديه ، فكان يودِّعهم بدعائه وتبشيره إيّاهم بالجنَّة ، فنذكر منهم مصعبَ بن عمير ، وزياد بن السَّكَن الذي مات يوم أُحد بين يدي رسول الله ﷺ وخدُّه علىٰ قدمه الشَّريف ، وأنسَ بن النَّضْر ، وسعدَ بن الربيع ، وعَمْرو بن الجموح ، وغيرهم ممن استُشهد في غزوة أُحد ، وجُلَيْبيباً الذي كان في موته خبر عجيب ، وزيد بن حارثة ، وجعفر بن أبي طالب ، وعبد الله بن رواحة الذين استُشهدوا في غزوة مؤتة ، وغيرهم من أهله وأصحابه وأقربائه . فكان ﷺ أمام مصيبة الموت التي تلاحق نزولُها عليه خلال حياته بفراق الأهل والأصحاب مثال الصَّبْر والاحتساب والرضا عن الله عزَّ وجلَّ . وكان سلوتَه في تلك المصائب قوله : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ . ولطالما كان يثبِّت أصحابه على الصَّبْر في محنة الموت ، ويحضّهم علىٰ الرّضا

---

(١) سيرة ابن هشام .

عن الله مهما بلغت فداحة المصاب ، فكان يقول : « ما من عبدٍ يُصاب بمصيبة فيفزع إلى ما أمر الله به من قول : ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ إلاّ آجره الله في مصيبته »[1] .

وسار الصحابة الكرام والمسلمون الأوائل ومن جاء بعدهم ممَّن لزم طريقتهم علىٰ هَدْي رسول الله ﷺ ووصيَّته بالصَّبْر والرِّضا عن الله ، وكتبوا أكرم صفحات الصَّبْر في محنة الموت وأصدقَ مواقف الرِّضا والتسليم لله مهما كان المُصاب أليماً . وإليك طَرَفاً من واقع هذا الصَّبْر الجميل :

* * *

(١) رواه ابن سعد عن أم سلمة رضي الله عنها . الكنز ٣/ ٦٦٤٩ .

الصَّبْر على موت الأولاد

جاء عن أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال :

« إذا مات ولد العبد قال الله تعالىٰ لملائكته : قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون : نعم ، فيقول : قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون : نعم ، فيقول : فماذا قال عبدي؟ فيقولون : حمدك واسترجع ، فيقول الله تعالىٰ : ابنوا لعبدي بيتاً في الجنَّة وسمُّوه بيت الحمد »[1] .

وعن عتبة بن عبد عن رسول الله ﷺ :

« ما مِنْ مسلمٍ يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحِنْث إلا تلقَّوه من أبواب الجنَّة الثمانية من أيِّها شاء دخل »[2] .

وعن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ قال : « ما منكنّ امرأة

---

(١) رواه الترمذي .

(٢) رواه أحمد وابن ماجه .

تُقَدِّم بين يديها ثلاثةً من ولدها إلاّ كانوا لها حجاباً من النار ، قالت امرأةٌ : واثنين؟ قال : واثنين »[1] .

وعنه معاوية بن قُرَّة عن أبيه قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لأحد أصحابه كان قد مات له ولد صغير :

« ألا يسرُّك أن لا تأتي باباً من أبواب الجنَّة إلاّ وجدته عنده يسعىٰ يفتح لك »[2] .

صبر رسول الله ﷺ علىٰ موت ولده إبراهيم :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال :

رأيتُ إبراهيم وهو يكيد بنفسه بين يَدَي رسول الله ﷺ ، فدمعت عينا رسول الله ﷺ ، فقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « تَدمع العين ، ويحزن القلب ، ولا نقول إلاّ ما يرضي ربَّنا ، والله يا إبراهيم إنّا بك لمحزونون »[3] .

---

(١) رواه أحمد .
(٢) رواه أحمد والنسائي والبغوي .
(٣) أخرجه ابن سعد : ١/ ٩٠ .

رسول الله ﷺ يحضُّ ابنته علىٰ الصبر علىٰ موت ابنها :

عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال :

كنَّا عند النَّبي ﷺ ، فأرسلت إليه إحدى بناته تدعوه وتخبره أنَّ صبيّاً لها في الموت ، فقال للرسول (الذي أرسلته ابنته) : « ارجع إليها ، فأخبرها أنَّ لله ما أخذ وله ما أعطىٰ ، وكلُّ شيءٍ عنده بأجلٍ مسمّىٰ ، فمرها فلتصْبِر ، ولتحتسب » . فعاد الرسول ، فقال : إنّها قد أقسمت لتأتينّها ، فقام النَّبيُّ ﷺ وقام معه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وأُبيّ بن كعب وزيد بن ثابت رضي الله عنهم ورجال ، وانطلقتُ معهم ، فرُفع إلىٰ رسول الله ﷺ الصبيُّ ونفسه تَقَعْقَع (أي تضطرب) كأنَّها في شَنٍّ ، ففاضت عيناه ﷺ ، فقال له سعد : ما هذا يا رسول الله؟ قال : « هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده ، وإنَّما يرحم الله من عباده الرُّحماء »[1] .

---

(١) رواه أحمد والترمذي وأبو داود وغيرهم .

صَبْر أم حارثة على موت ابنها :

لمّا استُشْهد حارثة بن سراقة يوم بدرٍ أتت أُمُّه رسول الله ﷺ تسأله قائلةً : يا رسول الله ، أخبرني عن حارثة ، فإنْ كان في الجنَّة صبرت ، وإنْ كان غير ذلك اجتهدتُ عليه البكاء ، فقال لها : « يا أُمَّ حارثة إنَّها جنان في الجنَّة ، وإنَّ ابنك أصاب الفِرْدوس الأعلى »[1] .

صَبْر أمِّ خلاد على موت ابنها :

عن محمد بن ثابت بن قيس بن شمّاس رضي الله عنه قال :

قُتِل يوم قريظة رجل من الأنصار يُدعىٰ خَلاّداً رضي الله عنه ، فأُتيتْ أُمُّه فقيل لها : يا أُمَّ خلاد قُتل خَلاّد . قال : فجاءت متنقِّبة ، فقيل لها : قتل خَلاّد وأنت متنقِّبة؟ قالت : إنْ كنتُ رُزئت خلاّداً فلا أُرزأ حيائي .

---

(١) رواه الشيخان عن أنس رضي الله عنه .

فأُخبر النَّبيُّ ﷺ بذلك ، فقال : « أما إنَّ له أجر شهيدين» . قال : قيل : ولِمَ ذاك يا رسول الله؟ فقال : « لأنَّ أهل الكتاب قتلوه »[1] .

صَبْر أبي طلحة وأمّ سُليم علىٰ موت ولدهما :

تزوَّج أبو طلحة بأُمِّ سُلَيم ومهرها كان دخوله في الإسلام ، فولدت له غلاماً ، ولمّا بدأ الغلام يجري حتى ملك علىٰ أبي طلحة قلبه مرضَ مرضاً شديداً ، فدخل أبو طلحة يوماً علىٰ زوجه ، فقال لها : ما فعل ابني يا أمّ سُلَيم؟ قالت : خير ما كان ـ فظنَّ أنَّه بَرِىء من مرضه ، فسُرَّ بذلك ، فقالت له زوجه : ألا تتغدّىٰ ، قد أخَّرتُ غداءك اليوم؟ فقدَّمتْ إليه غداءه ، وبعد أن أكل هنيئاً ثُمَّ أصاب من زوجه حاجته قالت له : يا أبا طلحة ، عارية استعارها قوم ، وكانت العارية عندهم ما قضىٰ الله ، وإنَّ أهل العارية أرسلوا إلىٰ عاريتهم ، فقبضوها ألهم أنْ يجزعوا؟ قال : لا ، قالت : فإنَّ ابنك قد

---

(١) رواه أبو يعلىٰ وأبو نعيم وابن سعد .

فارق الدنيا ، فقال لها : فأينَ هو؟ قالت : ها هو ذا في المخدع ، فدخل فكشف عنه ، واسترجع ، فذهب إلى رسول الله ﷺ فحدَّثه بقول أُمِّ سليمٍ ، فقال : « والذي بعثني بالحقِّ لقد قذف الله تبارك وتعالىٰ في رحمها ذكراً لصبرها علىٰ ولدها » ، وكانت قد حملت تلك الليلة من أبي طلحة ، ثُمَّ وضعته غلاماً ، فقال رسول الله ﷺ لأنسٍ : « اذهب يا أنس إلى أُمِّك فقل لها : إذا قطعتِ سَرَر ابنكِ ، فلا تُذيقيه شيئاً حتّىٰ تُرسلي به إليّ ، قال : فوضعته على ذراعي حتى أتيت به رسول الله ﷺ فوضعته بين يديه ، فقال : « ائتني بثلاث تمراتٍ عجوة » ، قال : فجئت بهنّ فقذف نواهنَّ ، ثم قذفه في فيه فلاكه ، ثُمَّ فتح فاه الغلام ، فجعله في فيه ، فجعل ـ الغلامُ ـ يتلمَّظ ، فقال : « أنصاريٌّ يحب التمر » ، فقال : « اذهب إلىٰ أُمِّك فقل : بارك الله لك فيه ، وجعله برّاً تقيّاً »[1] .

---

(١) قال الهيثمي ٩/ ٢٦١ : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح عن أحمد بن منصور الرماديّ وهو ثقة .

صَبْر الخَنساء (الشاعرة) علىٰ موت أولادها الأربعة في القادسية :

لما كانت معركة القادسيّة دعت الخنساء تماضر بنت عمرو بن الشريد أولادها الأربعة ، فأوصتهم قائلة :

(يا بنيّ إنكم أسلمتم طائعين ، وهاجرتُم مختارين ، والله ما نَبَتْ بكم الدّار ، ولا أقحمتكم السّنَة ، ولا أزْداكم الطمع ، واللهِ الذي لا إله إلاّ هو ، إنّكم لبنو رجُلٍ واحد كما أنّكُم بنو امرأةٍ واحدة ، ما خُنْتُ أباكم ، ولا فضحتُ خالكم ، ولا غيَّرتُ نسبكم ولا أوطأتُ حريمَكم ، ولا أبحتُ حِماكم . وقد تعلمون ما أعدَّ الله لكمُ من الثواب الجزيل في حَرْب الكافرين ، واعلموا أنَّ الدار الباقية خير من الدار الفانية ، فإذا أصبحتم غداً إنْ شاء الله سالمين ، فاغدوا إلىٰ قتال عدوِّكم مستبصرين ، وبالله علىٰ أعدائه مستنصرين ، فإذا رأيتم الحرب قد شمَّرتْ عن ساقها ، واضطرب لظاها علىٰ سياقها ، وجُلِّلَتْ ناراً على أرواقها ، فتيَمّمُوا وطِيسَها ، وجالدوا رئيسَها عند احتدام خميسها ، تظفروا بالمغنم والسّلامة ، والفوز والكرامة في دار الخُلْدِ والمُقامَة) .

ثُمَّ انطلق أولادها الأربعة مع الناس إلى القادسية متزوِّدين بوصيتها هذه ، فقاتلوا قتالاً صادقاً حتىٰ سقطوا جميعاً شهداء . فلما انتهت المعركة ، ووضعت الحرب أوزارها ، وعاد المقاتلون منتصرين إلى ديارهم وأهليهم ، خرجت الخنساء في جملة من خرج لاستقبال الجنود العائدين من تلك المعركة الفاصلة ، ومكثت تنتظر عودة أبنائها حتى عاد آخر واحد من الجند المقاتلين ، فسألته عن أولادها الأربعة ، فأخبرها بأنَّهم قد استُشهدوا جميعاً ، فلمَّا وقع كلامه في سمعها تماسكت على عُكّازها وقالت بكلِّ صبر ورضا وتسليم وإيمان : الحمد لله الذي شرَّفني باستشهادهم ، وأرجو من ربّي أن يجمعني بهم في مستقرِّ رحمته .

صَبْر أبي ذرّ علىٰ موت أولاده :

أخرج أبو نُعَيْم عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه أنَّه قيل له : إنَّك امرؤ ما يبقىٰ لك ولد ، فقال : الحمد لله الذي يأخذهم في دار الفناء ، ويدَّخرهم في دار البقاء[1] .

---

(١) حياة الصحابة ٢/ ٥٩٢ .

صَبْر عروة بن الزُّبَيْر على موت ولده :

جاء أنَّ عروة بن الزُّبير لمّا قدم من المدينة علىٰ الوليد بن عبد الملك في الشام وقعت في رِجْله الإكْلَة ، فقُطعت قدمه ، ثم جاءه نبأ موت ولده محمد وذلك أنَّه دخل دار الدوابِّ فضربته دابَّة فخرَّ مَيْتاً ، فقال عروة في صبره علىٰ هاتين المصيبتين :

اللَّهُمَّ إنَّك تعلم أنَّه كان لي أعضاء أربعة ، فأخذتَ واحداً وأبقيتَ لي ثلاثة فلك الحمد ، وأنَّه كان لي بنون أربعة فأخذت واحداً وأبقيت لي ثلاثة فلك الحمد ، اللَّهُمَّ إن أخذتَ لطالما أعطيتَ ، ولئن ابتليتَ لطالما عافيتَ .

صَبْر الفضل بن عياض علىٰ موت ولده :

جاء أنَّ الفضيل بن عياض كان بين أصحابه فأتاه الناعي ينعىٰ إليه أحد أولاده ، فضحك ، فقالوا : تضحك وقد نُعي إليك ولدك ، فقال : أَمْر أحبَّه الله فأحببتُه .

صبر عمر بن عبد العزيز (رحمه الله) على موت ابنه :

لمّا نزل الموت في عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز قال له أبوه عمر : كيف تجدك يا بُني؟ قال : أجدني في الموت

فاحتسبني ، فإنَّ ثوابَ الله خير لك منّي ، قال : والله ، يا بُنيَّ لأن تكون في ميزاني أحبّ لي من أن أكون في ميزانك ، قال : وأنا والله لأنْ يكون ما تحبُّ أحبُّ إليّ من أن يكون ما أُحِبُّ .

ثُمَّ قال عمر بن عبد العزيز لأبي قِلابة ، وقد وَلِي غَسْل ابنه عبد الملك : إذا غسَّلته وكفَّنته ، فآذنِّي قبل أن تغطِّي وجهه ، ففعل ، فنظر إليه وقال : رحمك الله يا بُنيَّ وغفر لك[1] .

صَبْر منفوسة بنت زيد الفوارس علىٰ موت ولدها :

قال الأصمعيُّ : حدَّثني رجل من بني ثُعَل قال :

كنت ببعض نواحي نجد ، فرُفِعَتْ لي فيه قُبَّة من أدم فقصدتُها ، فإذا أصوات نساءٍ مُعوِلات ، فدنوت منهنَّ وسألتُهنَّ عن شأنهنَّ ، فقُلن : منفوسة بنت زيد الفوارس من أُصيبت بابنها ، وإذا هو في حجرها ، وهي تقول : والله لتقدُّمك أمامي أحبُّ إليَّ من تأخُّرِك ورائي ، ولصبري عنك أجدىٰ من جزعي عليك ، وما حظُّ مصيبةٍ تحلّ من التَّلف

---

(١) العقد الفريد : ٢/٢٢٩ـ٢٣٠ .

محلَّكِ ، وتُورِث من العطب مثل مضجعك؟ ولئن كان فراقُك حَسْرةً إنَّ توقُّع أجرك لِخيرَة .

ثُمَّ قالت : لله درُّ عمرو بن معدِي كرِب حيث يقول :

وإنَّـا لَقَـومٌ لا تفيـض دمـوعنـا علىٰ هالكٍ منّا وإن فَصَم الظَّهْرا[1]

صَبْر معاذة العدوية علىٰ موت ولدها :

أنبأ ثابتٌ البُنانيّ أنَّ صلة بن أُشَيْم كان في مغزىً له ومعه ابن له فقال : أيْ بُنيَّ ، تقدَّم فقاتِل حتىٰ أحتسبك . فحمل ، فقاتل حتىٰ قُتِل ، ثُمَّ تقدَّم فقُتِل ، فاجتمعت النِّساء عند امرأته معاذة العدويَّة ، فقالت :

مرحباً ، إن كنتُنَّ جئتُنَّ لتهنِّئني ، فمرحباً بكُنَّ ، وإن كنتُنّ جئتُنَّ بغير ذلك فارجِعْنَ[2] .

صَبْر أعرابيَّة علىٰ موت ولدها :

قال الأصمعيُّ : مات ابن لأعرابيَّة ، فما زالت تبكي حتَّىٰ خدَّ الدمعُ في خدِّها ، ثُمَّ استرجعت فقالتْ :

---

(١) صفة الصفوة : ٤/ ٣٨٧ .

(٢) صفة الصفوة : ٤/ ٢٣ .

اللَّهُمَّ ، إنَّك قد علمتَ فرط حُنوِّ الوالدَيْن على ولدهما ، فلذلك لم تأمرهما ببرِّه ، وقد علمت قدر عقوق الولد لوالدَيْه ، فمِن أجل ذلك حَضضتَه علىٰ طاعتهما ، وألزمته برَّهما ، وقد كان ولدي من البرِّ بوالديه علىٰ ما يكون الوالدان بولدهما ، فأْجُرْهُ بذلك منّي صلاةً ، ولقِّه سروراً ونَضْرةً .

فقال لها أعرابيٌّ : نِعْمَ ما دعوتِ له لولا أنَّكِ شِبْتِهِ من الجزع بما لا يُجدي عليه . فقالتْ : إذا وقعت الضَّرورات ، لم يجر عليها حكم المكتَسبات ، وجَزَعي على ابني غيرُ ممكنٍ في الطاقة صرفُه ، ولا في القُدْرةِ منْعُه ، والله وليّ عُذْري بفضله ، فقد قال عزَّ وجلَّ : ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1] [البقرة: ١٧٣] .

صَبْر امرأة نجديَّة علىٰ موت ولدها :

قال عبد الرحمن بن عمر : دخلتُ علىٰ امرأةٍ من نجد بأعلى الأرض في خِباء لها وبين يديها بُنيٌّ لها قد نزل به الموتُ ، فقامت إليه فأغمضَتْه وعَصَبته وسجَّته ، وقالت :

---

(١) صفة الصفوة : ٤/ ٣٩٢ .

يا ابن أخي ، قلت : ما تشائين؟ قالت : ما أحقّ من أُلْبِس النِّعمة وأُطيلت به النَّظْرة أن لا يدع التوثُّق من نفسه قبل حِلّ عُقْدته ، والحُلول بعَقْوَته ، والمحالة بينه وبين نَفْسه . قال : وما يَقطر من عينها دمعةٌ صَبْراً واحتساباً . ثُمَّ نظرت إليه فقالت : والله ما كان مالُه لِبَطْنه ولا أمره لعِرْسه ، ثُمَّ أنشدت :

رَحِيبُ ذراعٍ بـالّتـي لا تَشِينـه ... وإن كانت الفحشاء ضاق بها ذَرْعا[1]

صَبْر أبي ذرٍّ الهَمْدانيّ علىٰ موت ولده ودعاؤه له :

مات ولد أبي ذرٍّ الهَمْدانيّ فشيَّعه إلى مثواه الأخير ثُمَّ وقف علىٰ قبره فقال : اللَّهُمَّ إنِّي قد وهبتُ لك إساءته إليّ ، فهَبْ له إساءته إليكَ .

فلمّا انصرف عنه التفتَ إلى قَبْره فقال : يا ذرُّ ، قد انصرفنا وتركناك ، ولو أقمنا ما نفعناك[2] .

* * *

---

(١) العقد الفريد : ٣/ ٢٤٣ .

(٢) العقد الفريد : ٣/ ٢٤٢ .

الصَّبْر على موت الزوج

صَبْر أمِّ سلمة علىٰ وفاة زوجها :

أخرج أحمد عن أمِّ سلمة رضي الله عنها قالت :

أتاني أبو سلمة رضي الله عنه يوماً من عند رسول الله ﷺ فقال : لقد سمعت من رسول الله ﷺ قولاً سُررت به ، قال : « لا يصيبُ أحداً من المسلمين مصيبة ، فيسترجع عند مصيبته ، ثُمَّ يقول : اللَّهُمَّ آجِرْني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها إلاّ فُعل به » .

قالت أُمُّ سلمة : فحفظت ذلك منه ، فلمّا توفي أبو سلمة استرجعت وقلت : اللَّهُمَّ آجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها . ثُمَّ رجعت إلى نفسي فقلت : من أين لي خير من أبي سلمة؟ فلمّا انقضت عِدَّتي استأذن عليَّ رسول الله ﷺ وأنا أدبغ إهاباً لي ، فغسلتُ يديَّ من القَرَظ ، وأذنتُ له ، فوضعتُ له وسادة أَدَم حشوها ليف ، فقعد عليها ، فخطبني إلىٰ نفسي ،

فلمّا فرغ من مقالته قلتُ : يا رسولَ الله ، ما بي أن لا تكون بك الرَّغبة ، ولكنِّي امرأة بي غَيْرة شديدة فأخاف أن ترى مني شيئاً يعذِّبني الله به ، وأنا امرأة قد دخلت في السنِّ ، وأنا ذات عيالٍ ، فقال : « أمّا ما ذكرتِ من الغَيْرة فسيذهبها الله عنكِ ، وأمّا ما ذكرتِ من السنِّ فقد أصابني مثلَ الذي أصابكِ ، وأمّا ما ذكرت من العيال ، فإنَّما عيالك عيالي » . فقالت : فقد سلَّمت لرسول الله ﷺ ، فقالت أُمُّ سلمة : فقد أبدلني الله بأبي سلمة خيراً منه رسول الله ﷺ[1] .

صبر معاذة علىٰ موت زوجها وولدها :

عن معاذة امرأة صِلَة بن أُشَيْم قالت :

لمّا أتاها نَعْي زوجها وابنها جاءها النِّساء ، فقالت :

إن كنتُـنَّ جئتـنَّ لتهنئتنـا بمـا أكـرمنـا الله بـه ، وإلاّ فارجعن[2] .

---

(١) رواه النسائي وابن ماجه والترمذي وقال : حسن غريب .

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء : ١٦٣ .

صبر زوجة عبد الله بن الفرج علىٰ موته :

قال أبو بكر محمد بن الحسين الآجرّيّ :

بلغني أنَّ عبد الله بن الفرج لمَّا مات لم تُعلِمْ زوجتُه إخوانه بموته ، وهم جلوسٌ بالباب ينتظرون الدخول عليه في عِلَّته ، فغسَّلته ، وكفَّنته في كساءٍ له ، وأخذتْ فَرْدَ بابٍ من أبواب بيته ، وجعلتْه فوقه وشدَّته بشريطٍ ، ثُمَّ قالت لإخوانه : قد مات ، وقد فرغتُ من جهازه . فدخلوا ، واحتملوه إلىٰ قبره ، وأغلقت الباب خلفَهم[1] .

* * *

(١) صفة الصفوة : ٢/ ٥٢٧ .

الصبر علىٰ موت الزوجة

صبر رسول الله ﷺ على موت زوجته السيدة خديجة الكبرىٰ :

قال ابن هشام صاحب السيرة : كانت خديجة رضي الله عنها وزير صدق على الإسلام يشكو الرسول إليها ويجد عندها أُنسَه وسلواه .

وعندما أتاه الملك جبريل وهو في حراء ، فغطَّه حتى بلغ منه الجهد ، وقال له : اقرأ ، وكرَّرها وفي الثالثة قال له : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق : ١ـ٥] . فرجع رسول الله ﷺ إلى زوجه خديجة يرجف فؤاده ويقول : زملوني زملوني استقبلته ودثَّرته حتىٰ ذهب عنه الرَّوع ، ولما أخبرها بما جرى له مع الملك ، وقال لها : لقد خشيت على نفسي ، طمأنت قلبه بأنَّه بخير ولن يصيبه سوء ، فقالت : كلا والله ما يخزيك الله أبداً ، إنَّك لتصل الرَّحم ، وتحمل الكلّ ،

وتُكسِب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتُعين علىٰ نوائب الحقّ » . وعند مبعثه كانت أوّل من آمن به وصدَّقه بما جاء به من الله تعالىٰ ، فكانت تقف إلى جانبه في حمل عبء الدعوة إليه تثبّته ، وتخفّف عليه ممَّا يلقاه من الناس من إيذاء وإعراض أثناء تبليغ رسالة ربّه ، فكان ﷺ يقول في حقّها رضي الله عنها : « أُمِرتُ أن أُبشِّر خديجة ببيت من قَصَب لا صخب فيه ولا نصب »[1] .

ولمّا ماتت رضي الله عنها حزن عليها حزناً شديداً ، ولكنّه كان عنوان الصَّبْر ، لم يجزع ، ولم يضعف رغم فداحة المصاب ، بل تابع دعوته إلىٰ الله ، وهو يذكر زوجته الوفية حتىٰ غارت السيِّدة عائشة رضي الله عنها لكثرة ذكر رسول الله ﷺ للسيدة خديجة ، فلمَّا قالت له في ذلك ، أجابها : « والله ما أبدلني خيراً منها ، آمنت بي حين كذَّبني الناس ، وواستني بمالها حين حرمني الناس ، ورُزقتُ منها الولد ، وحُرمته من غيرها » .

---

(١) رواه الإمام أحمد وابن حبان .

صَبْر أُسيد بن حُضَيْر رضي الله عنه علىٰ موت زوجته :

أخرج ابن أبي شيبة وأحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت :

قدمنا من حجّ أو عمرة فتُلُقِّينا بذي الحُلَيفة ، وكان غلمان الأنصار يتلقّون أهليهم ، فلقوا أُسَيد بن حُضَير رضي الله عنه ، فنَعَوا له امرأته ، فتقنَّع وجعل يبكي ، فقلت : غفر الله لك أنت صاحب رسول الله ﷺ ولك من السابقة والقِدَم ما لك وأنت تبكي على امرأة؟ قالت : فكشف رأسه ، قال : صدقتِ لعمري ليحقُّ أن لا أبكي على أحدٍ بعد سعد بن معاذ وقد قال رسول الله ﷺ ما قال ، قالت : وما قال له رسول الله ﷺ؟ قال : قال : « لقد اهتزَّ العرش لوفاة سعد بن معاذ » ، قالت : وهو يسير بيني وبين رسول الله ﷺ .

* * *

الصَّبْر على موت الأخ

صَبْر صفية بنت عبد المطَّلِب على موت أخيها حمزة :

جاء في سيرة ابن إسحاق عن الزهريِّ وعاصم بن عمر بن قتادة ومحمد بن يحيىٰ وغيرهم عن قتل حمزة رضي الله تعالىٰ عنه قال :

فأقبلت صفيَّة بنت عبد المطلب رضي الله عنها لتنظر إلىٰ أخيها ، فلقيها الزُّبَيْر رضي الله عنه فقال : أي أُمَّه ، إنَّ رسول الله ﷺ يأمركِ أن ترجعي . قالت : ولِمَ وقد بلغني أنَّه مُثِّل بأخي؟ وذلك في الله ، فما أرضانا بما كان من ذلك؟ لأصبرَنَّ وأحتسبنَّ إن شاء الله .

فجاء الزُّبير ، فأخبره ، فقال : « خلِّ سبيلها » ، فأتتْ إليه ، واستغفرت له ، ثُمَّ أمر به فدُفِن .

صَبْر عمر بن الخطّاب علىٰ موت أخيه زيد :

أخرج الحاكم عن عمر بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب رضي الله عنه قال :

كان عمر يصاب بالمصيبة فيقول : أُصِبتُ بزيد بن الخطاب فصبرت .

وأبصر عمر رضي الله عنه قاتل أخيه زيد ، فقال له : ويحك لقد قتلت لي أخاً ما هبَّت الصَّبا إلاّ ذكرته .

صَبْر ابن مسعود رضي الله عنه على موت أخيه عُتبة :

أخرج أبو نُعَيم في الحلية عن عون قال :

لما أتت عبد الله ـ يعني ابن مسعود ـ رضي الله عنه وفاة عتبة رضي الله عنه ـ يعني أخاه ـ بكىٰ ، فقيل له : أتبكي؟ قال : كان أخي في النسب ، وصاحبي مع رسول الله ﷺ وما أحبُّ مع ذلك أنِّي كنت قبله ؛ أن يموت فأحتسبه أحبُّ إليَّ من أن أموت فيحتسبني .

وعند ابن سعد عن خيثمة رضي الله عنه قال : لمّا جاء عبدَ الله نعيُ أخيه عتبة دمعت عيناه ، فقال : إنَّ هذه رحمة جعلها الله لا يملكها ابن آدم .

* * *

الصبر علىٰ موت الأُخت

أخرج ابن سعد عن عبد الله بن أبي سَليط رضي الله عنه قال : رأيتُ أبا أحمد بن جحش رضي الله عنه يحمل سرير زينب بنت جحش وهو مكفوف وهو يبكي ، فأسمع عمر رضي الله عنه وهو يقول : يا أبا أحمد تنحّ عن السرير لا يُعنِّك الناس ، وازدحموا علىٰ سريرها ، فقال أبو أحمد : يا عمر هذه التي نلنا بها كلَّ خير ، وإنَّ هذا يُبرِّد حرَّ ما أجد ، فقال عمر : الزم الزم .

* * *

الصَّبْر علىٰ موت الأب

صبر السيدة عائشة علىٰ موت أبيها :

روى القاسم بن محمد عن عائشة أُمِّ المؤمنين رضي الله عنها :

أنَّها دخلت على أبيها في مرضه الذي مات فيه ، فقالت له : يا أبتِ اعهد إلى خاصَّتك وأنفذ رأيك في عامّتك ، وانقُل من دار جهازك إلى دار مُقامك ، وإنَّك محضور ومتَّصل بقلبي لوعتُك ، وأرى تَخاذل أطرافك ، وانتقاعَ لونك ، فإلىٰ الله تعزيتي عنك ، ولديه ثوابُ صَبْري عليك ، أرقأ فلا أُرقأ ، وأَشكو فلا أُشكىٰ[1] .

---

(١) العقد الفريد : ٣/ ٢٣١ .

صَبْر أعرابية علىٰ موت أبيها :

وقفت أعرابيَّة على قبر أبيها فقالت : يا أبتِ ، إنَّ في الله تبارك وتعالىٰ من فقدِكَ عوضاً ، وفي رسول الله ﷺ من مُصيبتك أُسْوة .

ثُمَّ قالت : اللَّهُمَّ ، نزل بك عبدُك مُقْفِراً من الزاد ، مُخشوشن المهاد ، غنياً عمّا في أيدي العباد ، فقيراً إلىٰ ما في يديك يا جواد ، وأنت أي ربِّ خيرُ من نزل به المؤمّلون ، واستغنى بفضلِهِ المُقِلّون ، وولَجَ في سعة رحمته المذنبون . اللَّهُمَّ ، فليكُن قِرىٰ عبدك منك رحمتك ، ومهاده جنّتك . ثُمَّ انصرفت[1] .

* * *

(١) العقد الفريد : ٣/ ٢٤٢ .

الصَّبْر على موت الأُم

حُدِّثنا عن أحد علماء دمشق الأجلاء أنَّه ذهب إلى الحجِّ بصحبة أُمِّه وأثناء عودتهما بعد أداء تلك الفريضة تُوفِّيت الأُمُّ ، فغسَّلها ابنها وكفَّنها وصلّى عليها ، ثُمَّ وضعها بين خشبتين وربطهما ، ثُمَّ ألقاها في البحر حيث كانا يركبان سفينة ، ولما وصل إلى دمشق كان أوّل عمل قام به أن خطب لأبيه فزوَّجه .

* * *

الصَّبْر على موت الأهل

* قدم الشام قوم من بني عَبْس فيهم رجل ضرير ، فسأله الوليد بن عبد الملك عن عَيْنَيْه؟ فقال : يا أمير المؤمنين بتُّ ليلةً في بطن وادٍ ولا أعلمُ عبسيّاً يزيد ماله علىٰ مالي ، فطرقنا سَيْلٌ فذهب بما كان لي من أهلٍ وولدٍ ومالٍ غير بعير وصبيٍّ مولود . وكان البعيرُ صَعْباً فندَّ ، فوضعتُ الصبيَّ واتَّبعتُ البعير ، فلم أجاوز إلاّ قليلاً حتى سمعتُ صيحة ابني ورأسه في فم الذِّئب وهو يأكله ، فلحقتُ البعير لأحبسه ، فنفحني برجْله على وجهي فحطَّمه ، وذهب بعينيّ ، فأصبحتُ لا مالَ لي ، ولا أهلَ ، ولا ولدَ ، ولا بَصَرَ . فقال الوليد : انطلقوا به إلى عُروة بن الزُّبَيْر ليعلمَ أنَّ في الناس من هو أعظمُ منه بلاءً .

* كانت امرأة من هُذَيل لها عشرة إخوة وعشرة أعمام فهلكوا جميعاً في الطاعون ، وكانت بِكْراً لم تتزوَّج ، فخطبها ابن عمٍّ لها فتزوَّجها ، فلم تلبث أن اشتملت علىٰ غلام فولدتهُ ، فنَبت نباتاً كأنَّما يُمد بناصيته ، وبلغ ، فزوَّجته ، وأخذت

في جهازه ، حتىٰ إذا لم يَبْق إلاّ البناء بأهله أتاه أجلُه ، فلم تشقَّ لها جيباً ، ولم تدمع لها عين ، فلمّا فرغوا من جهازه دُعيت لتوديعه ، فأكبّت عليه ساعة ثمّ رفعت رأسها ونظرت إليه وقالت :

ألا تلـــك المســـرَّة لا تـــدومُ ولا يبقىٰ على الدَّهْر النَّعيمُ[1]

* كان عليُّ بن الحسين رضي الله عنه في مجلسه وعنده جماعة ، إذ سمع ناعيةً في بيته ، فنهضَ إلىٰ منزله فسكَّنهم ، ثُمَّ رجع إلىٰ مجلسه ، فقالوا له : أمِنْ حَدَث كانت الناعية؟ قال : نعم . فعَزَّوه وعجِبوا من صَبْره ، فقال : إنّا أهل بيتٍ نطيع الله فيما نُحِبُّ ، ونحمده علىٰ ما نكْرَه[2] .

الحضُّ علىٰ الصبر على مصيبة الموت :

* أخرج ابن أبي خيثمة والدينوريُّ وابن عساكر عن أبي عُيينة رضي الله عنه قال : كان أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه إذا عزّى رجلاً قال : ليس مع العزاء مصيبة وليس مع الجزع فائدة . الموت أهون ماقبله وأشدّ ما بعده ، اذكروا فَقْدَ

---

(١) العقد الفريد : ٣/ ٢٦٠ .
(٢) العقد الفريد ٣/ ٣٠٧ .

رسول الله ﷺ ، تصغر مصيبتكم ، وأعظمَ الله أجركم .

* أخرج ابن عساكر عن سفيان قال :

عزّىٰ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه الأشعث بن قيس رضي الله عنه على ابنه ، فقال : إن تحزن ، فقد استحقَّت منكم الرَّحِم ، وإن تصبر ، ففي الله خَلَف من ابنِكَ ، إنَّك إن صبرت ، جرىٰ عليكَ القدر وأنت مأجور ، وإن جزعت ، جرىٰ عليكَ وأنت مأثوم .

* عزّىٰ موسىٰ المهديّ إبراهيم بن سَلْم علىٰ ابن له مات ، فجزع عليه جزعاً شديداً ، فقال له : أيسرُّكَ وهو بليَّة وفِتْنة ، ويَحْزُنكَ وهو صلوات ورحمة[1] .

* عزّىٰ أعرابيٌّ رجلاً فقال :

أوصيك بالرِّضا من الله بقضائه ، والتنجُّز لما وعد به من ثوابه ، فإنَّ الدنيا دار زوال ، ولا بدَّ من لقاء الله .

وقال آخر في تعزية صاحبه :

إنَّ من كان لك في الآخرة أجراً ، خيرٌ لك ممن كان لك في الدنيا سُروراً[2] .

---

(١) العقد الفريد : ٣/٣٠٧ .

(٢) العقد الفريد : ٣/٣٠٦ .

* عزّى ابنُ السمّاك رجلاً ، فقال :

عليكَ بالصَّبْر ، فبه يعمل من احتَسَب ، وإليه يصير من جزِع ، واعلم أنَّه ليست مصيبة إلاّ ومعها أعظمُ منها من طاعة الله فيها أو معصيته بها[1] .

* قال العُتْبيُّ : عزّىٰ أبي رجلاً ، فقال :

إنَّما يستوجب علىٰ الله وعده من صَبَر لحقِّه ، فلا تجمع إلىٰ ما فُجِعت به الفجيعة بالأَجْر ، فإنَّها أعظمُ المصيبتين عليك ، ولكلِّ اجتماعٍ فُرْقة إلىٰ دار الحُلول[2] .

* عزّىٰ صالح المُرِّيّ رجلاً بابنه فقال له :

إن كانت مُصيبتكَ لم تُحْدِث لك موعظة فمُصيبتك بنفسك أعظمُ من مُصيبتكَ بابنك ، واعلم أن التهنئة علىٰ آجل الثواب أولىٰ من التعزية على عاجل المصيبة[3] .

* * *

---

(١) العقد الفريد : ٣/ ٣٠٤ .
(٢) العقد الفريد : ٣/ ٣٠٤ .
(٣) العقد الفريد : ٣/ ٣٠٤ .

ثمرة الصَّبْر على البلاء

بيّن الله تعالىٰ ما أعدَّ لعباده الصابرين علىٰ البلاء من الأجر والثواب فقال : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٥ـ١٥٧]. فالمؤمن الذي يلقىٰ أحداث الحياة ومصائبها بالصبر ويواجهها بالرضا والتسليم عن يقين وإيمانٍ بأنَّ ما وقع إنَّما هو بقضاء الله وقدره ، وبأنَّ الخلائق كلّها التي تملأ الحياة على اختلاف أصنافها وتباين مراتبها وكلّ ما في هذا الوجود من كنوز ونِعَم وخيراتٍ ومتاع وأشياء ومكوّنات ملك لله وحده لا شريك له ، وأنَّ الله تعالىٰ يفعل بملكه ما يشاء ، وأنَّ المرجع والمآب إليه سبحانه القائل في كتابه : ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٨١] .

إنَّ العبد الذي يؤمن بذلك كلّه لساناً وقلباً ينتفي عنه الجزع من المصاب مهما كان فادحاً ، فلا يأسىٰ على فائت ، ولا يحزن علىٰ مفقود ، ولا يسخط من القضاء ، لأنَّه يعيش حقيقةً إيمانيّة كُبْرىٰ تقول :

وما المال والأهلون إلاّ ودائع ولا بدَّ يوماً أن تردَّ الودائع

وتقول :

أنا من أنا أنا في الوجود وديعة وغداً سأرحل عابراً في لحظةِ

فأورثت هذه الحقيقة الإيمانيّة قلب المؤمن طمأنينة ورضاً وتسليماً ، واستحقَّ لذلك أن ينعُم بعطاء الله للصابرين وببشراه للمحتسبين حيث قال : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ وبماذا يُبشَّرون؟ يأتي في قوله سبحانه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٧] . إنَّهم يُبشَّرون بثلاثة عطاءات جليلة سابغة :

أولها ـ ﴿ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ [البقرة : ١٥٧] : أيْ مغفرة من الله تعالىٰ تداركهم بها في ظلِّ رعايته لأحوالهم وتربيته لهم ، فهم في كنف عنايته وعين حراسته ، يبادرهم بالمغفرة التي يخرجون بها من ظلمات الغَفَلات ، ويصبحون في رحاب أنوار الطاعة والقرب منه سبحانه وتعالىٰ الذي قال : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ ﴾ [الأحزاب : ٤٣] .

فإذا كانت هذه الابتلاءاتُ ظلماتٍ علىٰ من لم يصبر عليها فساقته إلى الاعتراض على الله ، فإنَّها نورٌ للصابر فيها ، حيث

يترتَّب علىٰ الصبر على البلاء والرضا بالقضاء مغفرة ذنوب الصابرين وتكفير خطاياهم ، ويوكّده قوله عليه الصلاة والسلام : « ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا مخمصة حتىٰ الشوكة يُشاكها إلاّ كفَّر الله بها من خطاياه »[1] .

وقوله : « ما يزال البلاءُ بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وماله وولده حتىٰ يلقى الله وما عليه خطيئة »[2] .

ثانيها ـ ﴿ وَرَحْمَةٌ ﴾ [البقرة : ١٥٧] : أيْ نعمة من الله تعالىٰ يمُنُّ بها عليهم ، يُذهِب بها حزنَ قلوبهم ، ويُفرِح بأنوارها نفوسهم ، ويسعد بمعانيها أعماقهم في دنياهم وفي آخرتهم ، وإذا كانت النِّعمة تُورث القلب سروراً فالطمأنينة بالله من أجلِّ النِّعم وأبلغها أثراً في تحقيق السُّرور وتمكينه من سويداء القلب . عندها لا يعرف المؤمن مع المُصاب مهما كان أليماً إلاّ الفرحَ ، فكلَّما نزلت به المصائب ازداد سروراً وابتهاجاً بالأنَّة عنوان التصفِّي من الذنب وشِعار القُرْب من الربِّ جلَّ جلاله ، وهذا ما دعا الفضيل بن عياض عندما نُعي إليه ولده إلى أن يضحك ، وعندما سُئل عن سبب ضحكه قال : أَمْرٌ أحبَّه الله تعالىٰ فأحببته .

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

والنِّعمة التي يرزقها الله تعالىٰ عبده الصابر علىٰ البلاء حسيَّةٌ ومعنويَّةٌ ، فأمَّا المعنويَّةُ فهي الطمأنينة ، وأمَّا الحسيَّةُ ففي الدنيا أن يعوِّض له ما تلف من ماله أو ولده أو جسمه مضاعفاً كما حدث لأبي طلحة زوج أُمِّ سُلَيْم ، فكان من ثمرة صبرهما علىٰ موت ولدهما أن رزقهما الله تعالىٰ في الدنيا بعده سبعة أو تسعةً من الولد كلهم قد حفظ القرآن . وفي الآخرة أن يتمتَّع بالحور العين والولدان المخلَّدين والقُطوف الدانية والشراب الطهور وسائر ألوان النعيم في جنَّة الله ربِّ العالمين .

وفي هذين العطاءين يتحقَّق دفع المضارِّ وجلب المسارِّ ، فالله تعالىٰ يدفع عن الصابر على بلائه ضَرَرَ ذَنْبِهِ بالمغفرة ، ويرزقه سرورَ قلبه بالنِّعمة .

ثالثها ـ ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة : ١٥٧] : هذه شهادة لهم من الله تعالىٰ بالهداية ، وهي صلاح بواطنهم بالمعرفة واستقامة جوارحهم بالطاعة وبراءتهم من الغفلة والضلال . ومن شهد الله له بالهداية لن يضلَّ أبداً ، ولقد عبَّر الله تعالىٰ عن ثبوت الهداية للصابرين بالجملة الاسميَّة ، فجاءت صورتها مفيدة حَصْرَ الهداية فيهم وثبوتها لهم . وهذا من مزيد فضله تعالىٰ عليهم ورعايته لهم .

المحتوى

المقدمة ٥

معنى الصبر

الصبر في اللغة ٩
الصبر في الشرع وعند أهل الحق ١٠
الصبر في ميزان الدين الإسلامي ١١

الصبر في القرآن الكريم

الأول: الأمر به ١٣
الثاني: النهي عن ضده ١٤
الثالث: الثناء على أهله ١٤
الرابع: إيجاب معيته تعالى للصابرين ١٥
الخامس: إيجاب محبته تعالى للصابرين ١٥
السادس: إخباره تعالى بأن الصبر خير لأصحابه ١٥
السابع: إيجابه سبحانه الجزاء للصابرين بأحسن أعمالهم ١٥
الثامن: إيجابه تعالى الجزاء للصابرين بغير حساب ١٥
التاسع: إطلاق البشرى للصابرين ١٦
العاشر: ضمان النصر والمدد للصابرين ١٦
الحادي عشر: إخباره تعالى بأن أهل الصبر هم أهل العزائم ١٦
الثاني عشر: إخباره تعالى بأن أهل الصبر هم أهل الحظوظ ١٦
الثالث عشر: إخباره تعالى بأن أهل الصبر هم الذين ينتفعون بالآيات ... ١٧
الرابع عشر: إخباره تعالى بأن الصبر سبيل الفوز بالجنة ١٧
الخامس عشر: إخباره تعالى بأن الصبر يورث صاحبه الإمامة في الدين . ١٨

الصبر في السنة الشريفة

الأول: الصبر من الإيمان ١٩
الثاني: الصبر خير عطاء ٢٠
الثالث: الصبر عبادة ٢١
الرابع: الصبر سبيل حب الله ٢١
الخامس: الصبر ثوابه الجنة ٢١
السادس: الصبر سبيل مغفرة الذنوب ٢٢
السابع: الصبر سبيل العتق من النار ٢٣
الثامن: الصبر ضياء ٢٣
التاسع: الصبر سبيل المهتدين ٢٤
العاشر: الصبر طريق النصر ٢٤
الحادي عشر: الصبر يعدل الشهادة ٢٥
الثاني عشر: الصبر سبيل الرضا ٢٥
الثالث عشر: الصبر طريق السعادة ٢٥
الرابع عشر: الصبر سلاح المؤمن ٢٦
الخامس عشر: الصبر أوسع أبواب الرزق ٢٦
السادس عشر: متى يكون الصبر ٢٦
من أقوال الصحابة وسائر رجال السلف الصالح في الصبر ٢٧
أقوال في معاني الصبر ٣١
ماجاء في الشعر في الصبر ٣٢

أنواع الصبر

الصبر على طاعة الله ٣٦
الصبر عن معصية الله ٣٨

الصبر على امتحان الله ٤٠
الصبر بالله ٤٣
الصبر لله ٤٣
الصبر مع الله ٤٤

مسالك الصبر على امتحان الله

الصبر على البلاء ٤٥
الصبر على محنة الفقر ٤٧
علي بن أبي طالب يعرض سيفه للبيع ٥٤
علي بن أبي طالب وفاطمة بين أنياب الفقر ٥٥
فراغ بيت أبي ذر من أثاث الدنيا ٥٦
أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز لايملك سوى قميص واحد .. ٥٧
محاورة بين رابعة العدوية وسفيان الثوري ٥٩
مفتي المدينة يبيع خشب سقف بيته ٥٩
إمام العربية الفراهيدي يغالب الفقر بالصبر ٦٠
تناوب أخوين من أهل العلم ثياب الخروج إلى السوق ٦٠
صورة من صبر العلماء على الفقر ٦١
من ثمرة الصبر على الفقر ٦١
صورة من محنة الفقر وعجيب الإيثار ٦٣
الصبر على محنة الجوع والعطش ٦٥
الإمام عبد القادر الجيلاني يأكل المنبوذات من الجوع ٦٧
إشراف الإمام محمد بن نصر المروزي على الموت من شدة العطش . ٦٩
ابن خراش يشرب بوله من شدة العطش ٧٠
محدّث ينقطع عن سماع الحديث بسبب الجوع ٧٠

عالم يغالب الجوع والعطش بالصبر ٧١
الصبر على محنة المرض ٧٣
صبر امرأة من المسلمين على داء الصرع ٧٨
صبر زيد بن أرقم على العمى ٧٩
من صبر أبي بكر الصديق على المرض ٧٩
من صبر أبي الدرداء على المرض ٨٠
صبر أبي عبيدة بن الجراح على مرضه ٨٠
صبر عروة بن الزبير على ألم قطع رجله ٨١
امرأة يسقط ظفر إبهامها فتضحك ٨٢
الصبر على المصاب طريق الجنة ٨٢
الصبر على محنة الموت ٨٣
الصبر على موت الأولاد ٩١
صبر رسول الله ﷺ على موت ولده إبراهيم ٩٢
رسول الله ﷺ يحض ابنته على الصبر ٩٣
صبر أم حارثة على موت ابنها ٩٤
صبر أم خلاد على موت ابنها ٩٤
صبر أبي طلحة وأم سليم على موت ولدهما ٩٥
صبر الخنساء على موت أولادها الأربعة ٩٧
صبر أبي ذر على موت أولاده ٩٨
صبر عروة بن الزبير على موت ولده ٩٩
صبر الفضل بن عياض على موت ولده ٩٩
صبر عمر بن عبد العزيز على موت ابنه ٩٩
صبر منفوسة بنت زيد الفوارس على موت ولدها ١٠٠
صبر معاذة العدوية على موت ولدها ١٠١

صبر أعرابية على موت ولدها ١٠١
صبر امرأة نجدية على موت ولدها ١٠٢
صبر أبي ذر الهمداني على موت ولده ١٠٤
الصبر على موت الزوج ١٠٤
صبر أم سلمة على وفاة زوجها ١٠٤
صبر معاذة على موت زوجها وولدها ١٠٥
صبر زوجة عبد الله بن الفرج على موته ١٠٦
الصبر على موت الزوجة ١٠٧
صبر رسول الله ﷺ على موت السيدة خديجة الكبرى ١٠٧
صبر أسيد بن حضير على موت زوجته ١٠٩
الصبر على موت الأخ ١١٠
صبر صفية بنت عبد المطلب على موت أخيها حمزة ١١٠
صبر عمر بن الخطاب على موت أخيه زيد ١١٠
صبر ابن مسعود على موت أخيه عتبة ١١١
الصبر على موت الأخت ١١٢
الصبر على موت الأب ١١٣
صبر السيدة عائشة على موت أبيها ١١٣
صبر أعرابية على موت أبيها ١١٤
الصبر على موت الأم ١١٥
الصبر على موت الأهل ١١٦
الحض على الصبر على مصيبة الموت ١١٧
ثمرة الصبر على البلاء ١٢٠
المحتوى ١٢٤